

سَبْعٌ حُسُومًا

(مجموعة قصصية)

حياة الياقوت

www.Nashiri.Net

©حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.



www.Nashiri.Net

©حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتبة.

صورة الغلاف من موقع www.sxc.hu
نُشر إلكترونيا في يوليو ٢٠١٠

يمنع منعا باتا نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع .
جميع الكتابات المنشورة على موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.



المحتويات

حجر، ورقة، إلكترون	٥
حامل الأوراق	١٣
لا صبابة	٢٠
انقطع خيط القطن	٢٧
خيال الوقت	٣٠
هجرة الأحبار	٣٥
هنالك	٣٩



إهداء

إلى الطرائق السبع،
والأراضي السبع،
والمثاني السبع،
والتكبيرات السبع،
والجمار السبع،
والسنابل السبع،
والأحرف السبعة،
والأشواط السبعة،
والأيام السبعة،
وألوان الطيف السبعة.

ومن خلقهن هو من وهب وأعطى. فله الحمد على عطاء غير مجذوذ.

إلى أمي الغالية درية العماني،
التي لاعبتني سبعا، وأدبتني سبعا، وصاحبتني سبعا أو يزيدون.



حجر، ورقة، إلكترون!

(١)

وقف السيد حجَّار بن مسمار خاطبا في جَمْع من أهل الأرض الذين أهمّهم الأمر:

يا أيّها الناس،
اقتربوا وتجمّعوا، واسمعوا وعوا. فما يحدث خطب جلل، وأمر علينا أن ننفض من أجله كل كلل.
بني جلدتي،
إنّ حفنة من ذوي العتاهة جاءت لترتد عن تراث الأجداد، و تستبدل المفضول بالأفضل، وقد غفلوا، بل تغافلوا عن الحكمة الخالدة التي تمجّد قدر الحجر إذ قيل «العلم في الصغر، كالنقش على الحجر». فلم يعطوا الحجر حقه، بل صاروا يدعون إلى إفك عظيم، وإلى قول سقيم غير قويم، إذ يريدون منا أن نصبأ عن طريقتنا الأولى، ونكتب على الرقاق، وأوراق البرديّ، والجلود، والجريد، والرقاع.



يالرقاعة هؤلاء! يا لرقاعتهم!
بني جنسي،
إنّ تأريخ بني آدم مهدد بالزوال، ولكم أن ترقُبوا ما سيحل بذرارينا في الغد إن اتبعنا قولهم وكتبنا على وريقاتهم الخفيفة السخيفة. سنضيع شر ضياع؛ فالكتابة على غير الحجر، كالرَقْم على الماء، وكحرث البحر. أحبارهم السخيفة سيّالة ميّالة، وأوراقهم يأكلها الدهر، وتنوشها الأيام برماحها فتصفّر وتتهافت كحبات السميد، في يوم بؤس لا يُنشد فيه القصيد. إنّ الكتابة على الحجر هي أدوم وأخلد، إنّها ما سيحمدنا عليه المستأخرون.
إخواني في الآدمية،
إنّ الداعين إلى ترك الكتابة على الحجر، ما هم ألا قوم عبدوا الدرهم والدينار، ويرومون بيع الكاسد والفاسد علينا. لقد أعماهم الجشع، فتواطؤوا بليلٍ ليفرضوا حيلتهم الخبيثة لحمل العباد على الأخذ بالورق وما لفّ لَفّهُ، وحجتهم في ذلك أنّه خفيف الوزن -ولا أرى الخفّة إلا في عقولهم-، وأنّه يسير الحمل -أسأل الله أن لا يحمّلنا أوزارهم-، وأنّه أرخص ثمنا، -أرخص الله قدرهم-. ألم يفكروا في الأرض الزاهرة الزهراء؟ ليت شعري كم من البرديّ سيُقطف؟ وكم من جلود الحيوان سيُنتف؟ وكم من ألحية الشجر سيُستنزف؟ كل ذا من أجل صنع أوراقهم الهوفاء؟ أما الكتابة على الأحجار -كما لا يخفى على حصافتكم- لا خشية منها ولا ضرار، ولا شوائن فيها ولا مضار.
يا معشر العقلاء،
إنّها حرب غشوم، وكرّة ظلوم لفرض رؤاهم الجشعة. وماذا وراء كل هذا سوى تفتيت كبد تراثنا، ووضعه تحت رحمة رحى التلف والضياع؟ وإنّي ومن هذا المنبر الحجري، أدعوكم لنضع أيدينا معا، ونكون على قلب حجر واحد، ونتصدى لهذه الأباطيل. وليظل الحجر الطريقة المثلى للكتابة؛ الطريقة التي سنعض عليها بالنواجذ ونتوارثها كابرا عن كابر، ولتظل مواضينا، وما تكتبه أيادينا، محفوظة منقوشة، لا يطالها العَطَل، ولا يشوب مبناها الزلل، ولا يطرأ عليها الطارئ وما بَطَل.

تصفيق، وهياج، وابتهاج.

* * * * *

(٢)

اعتلت الباحثة والناشطة ورقاء الشجري المنصة الخشبية، ووضعت أوراقها المصقولة أمامها، وشرعت تتحدث بمنتهى الحماسة.

السيدات والسادة أعضاء مجلس الأمن البشري-الشجري المحترمون.
نجتمع اليوم لنتحدث عن قضية يجب أن تُقلق الضمير العالمي، ويجب أن تقض مضجع كل متخذ قرار على وجه كوكبنا الأخضر

الأغر، فالدعاوى تزايدت مؤخرا وعلا صوتها. والتكتلات التجارية لها مخططاتها الخاصة التي صارت تحاول فرضها بغسيل الأدمغة تارة، وبدغدغة العواطف تارة أخرى.
وإنّي على يقين أنّه لا يخفى عليكم أنّ استعمال الورق يستهلك كما كبيرا من أشجار الأرض، وأنّ ثمة جَوْر في أنماط لاستهلاكنا للأوراق، وهذه قضية علينا الالتفات إليها وإيلاؤها أوقاتنا وجهودنا. لكن، أن يُتخذ هذا ذريعة من قبل بعض المتنفّعين من أساطين أودية «السِّلكُن» كي يسلبونا حميمية القراءة من الكتاب، فهذا مشروع خبيث، ومحاولة مفضوحة لتعظيم أرباحهم على حساب صحة كوكبنا الأخضر الأغر.

السيدات والسادة،
إنّنا نجتمع اليوم لنطلق صرخة أخيرة، علّها تجد آذانا صاغية لتنقذ الكتاب الورقي من براثن الداعين إلى القراءة عبر الشاشات والأجهزة الإلكترونية المُصْمَتَة. وإنّي لست هنا لأرفع لواء العداء للتقنية أو أنكر أهميتها، لكن القراءة خط أحمر، والكتاب هو الجليس الذي لا تحلو رفقته إلا بتصفّح وريقاته وبتلمّس جنباته، فكيف يريدون منا أن نقرأ من أجهزة باردة كئيبة؟ ألا يعون أنّ القراءة من الورق هي الأكثر حميميّة، وأنّ من يشترون الكتب الإلكترونية من الإنترنت يطبعونها ليقرؤوها بالطريقة الرؤوم إياها؛ على الورق؟ ألا يعون ذلك؟!
ثم ألا يعون أنّ القراءة الإلكترونية مُكلفة؟ فهي تحتاج إلى عتاد تقني، وإلى كهرباء، وأحيانا إلى اتصال بالإنترنت؟ ألم يفكروا بالمحرومين الذين لم يروا الكهرباء في حياتهم؟ كيف سيقرؤون إذا سادت تقنيتهم وتوقف العالم إصدار الكتب الورقية، وما سلوى هؤلاء سوى كتاب يجالسهم ويجالسونه؟ فضلا عن هذا، ألا يعون المشاكل الصحية التي تسببها القراءة من الشاشة؟ أما الكتاب فصديق صدوق؛ تحمله أينما شئت، فلا يَثْقُل في يدك، ولا يُثقل على جيبك.
هل فكّر هؤلاء بمدى هشاشة المعلومات المخزنة إلكترونيا والتي وبضغطة زر تمحى من الوجود؟ في حين أنّ الورق أدوم، ولا يفت عضُده إلا إساءة متواصلة أو سوء تخزين.
هذه هي إمكانيات أوراقنا، فيُلرنا القوم إمكانيات إلكتروناتهم.

السيدات والسادة،
لا يخفي عليكم حجم المخلّفات التي تلقيها صناعة التقنية على كاهل كوكبنا الأخضر الأغر، فما بالكم إذا سمحنا لهذا الاتجاه بالاستشراء والنمو؟ كم سيكون حجم المخلّفات التقنية خاصة وأنّ ثمة ميثاق سريّ بين مصنّعي التقنيات على إصدار منتجاتهم بالتدريج حتى يحققوا أكبر قدر من الأرباح. فما كان جديدا قبل شهر، هناك ما هو أحدث منه اليوم. وهكذا يستعبدون الناس بمنتجاتهم التي تتطور بالقطّارة من أجل ابتزاز الجيوب، غير آبهين بأي مبدأ إنساني ولا بأي مسؤولية تجاه نظافة كوكبنا الأخضر



الأغر.
وإنّي ومن هذا المنبر الخشبي، وفي يوم الشجرة، أدعوا كلا منكم إلى الوقوف دقيقة صمت احتجاجا على هذه المحاولات، وأدعو الدول الأعضاء إلى التكاتف، وإلى اتخاذ جميع السبل التي من شأنها دحر هذه الدعاوى على المستويات الإعلامية والعمليّة.

تصفيق، وصفير، وهتافات.

* * * * *

(٣)

الدكتور مفتاح الحُوُيْسِب يجلس مبتهجا أمام شاشة إلكترونية مرتبطة لا سلكيا بالقمر الإلكترو-فضائي.

السيدات والسادة أعضاء مَجْمَع مصير البشر، يسرني أن أمثل بين يدكم اليوم عبر هذا الاتصال الإلكتروني الميمون لأخاطبكم جميعا يا أعضاء مَجْمَع مصير البشر. فالدعاوى المتكاثرة هذه الأيام تطيش لها العقول الشحمَلحميَّة والإلكترونية على حد سواء، وتذوب أمامها وحدات المعالجة المركزية كمدا ووجدا!
فمن دُعاة الهواء البهلوانيون هؤلاء؟ وماذا يحسبون أنفسهم فاعلين؟ صحيح أنّ الأكسجين لب حياتنا، وعصب عيشنا، وقد صار له شأن عالٍ في زماننا هذا، لكن أن يأتي هؤلاء ويدعون أنّه يمكننا أن نستغني عن التخزين الإلكتروني والقراءة الإلكترونية ونلجأ إلى الكتابة على جزيئات الأكسجين، فضرب من الخبل، الذي لا نقاش فيه ولا جدل!

صحيح أنّ التقنيات الجديدة التي وُلدت في قرننا هذا مبتكرة، فجزئيات الأكسجين لا تشغل حيزا كبيرا، وتتنقل بسرعة وكفاءة عالية، ويمكن لها أن تمكث في الجسد البشري دون أن تسبب أضرارا، ويمكن تخزين الكثير من المعلومات عليها بفضل البحوث العلمية التي مكنتنا من تطويعها لصالح هذه المهمة. لكن، أن نتهوّر ونخزّن عليها عواطفنا وأفكارنا وتاريخ البشرية وتراثها وما كتبتْ وما أبدعتْ، فمغامرة بل مقامرة لا يقوم بها إلا المأفونين! فالأكسجين محله الهواء، والهواء راحل متنقّل لا أمان له، ومع أخف هبّة ريح، قد تُفقد معلومات ثمينة لا تقدر بثمن. ألم يصف الشاعر الشعبي الحبيب الراحل بـ«شبيه الريح»؟ ألا يقال «فلان هوائي» دلالة على سرعة تقلّبه وتغيّره؟ ألم يقل الحكماء القدماء، ألم يقل آباؤنا العظام «ومن يبذر الريح، يجن العاصفة»؟ إنّ هؤلاء قوم يبذرون الريح، والعاصفة على الأبواب، وستطالنا جميعا إن لم نقف وقفة جادة وحادة!

فضلا عن ذلك، فإنّ سرية المعلومات المخزنة أكسجينيًا عرضة للاختراق، فهناك غازات يمكن تطويعها وبسهولة للاستحواذ على الذرّات الأكسجينية، فهل يريد منا هؤلاء الحمقى أن

نخزن بياناتنا المصرفية في فقاعات هوائية تسبح في مهب الريح؟ أمّا ادعائهم بإمكانية تحصين ذرّات الأكسجين بغلاف وقائي من الغازات الأخرى، فأمر لا ضمانة له، إذ تسمعون -كما أسمع- بين الفترة والأخرى عن نوع جديد من الغازات الغازِية يخترعه أحد العابثين المجانين ويسرّبه إلى الهواء، وتقف محطات صد الغارات الغازيّة مكتوفة اليدين عن التعامل الفوري معه، وتمضي أيام قبل أن يصنعوا ويبثوا ترياقا مضادا لعملية الاختراق الغازيّ.

السيدات والسادة أعضاء مَجْمَع مصير البشر. لقد قضينا عقودا طوالا، تكتنفنا وسائط التخزين الإلكترونية بكل حميمية وأريحية. وكم تدفّأنا بهذا الشعور الجميل للرقاقات الرقيقة التي تحمل ما تحمل من بيانات نفيسة، حتى صارت جزءا من وجداننا، وأفرادا في عائلاتنا. فهل نترك طريقتنا الأولى ونلجأ إلى طريقة مارقة شطون لنخزن بها البيانات؟ هل ننقلب على تلك الرقاقات التي يمكنا أن نلمسها بأيدينا، ونراها بأعيننا، ونلجأ إلى غاز لا طعم له، ولا لون، ولا رائحة؟
إنّي وعبر هذا المنبر الافتراضي، لَأحذّرُ جميع ساكني كوكبنا الرمادي المليح الأشهب من الانسياق وراء الدعاوى الأكسجينية، وليكن تمسكنا بتراثنا الإلكتروني العريق نبراسنا ونهجنا. فهو عبق الماضي وعبق القرون الطوال التي قضاها البشر يخزّنون ويدوّنون بكل كفاءة ما يعن في خواطرهم ونفوسهم، وما تقتضيه حياتهم اليومية. وتذكروا أنّ التخزين الإلكتروني هو الأصالة بعينها، وأنّ الصفر والواحد هما الأساس الذي يشهد له نظام الكون، وتعضّده جميع الحضارات والملل. ألم يقل الصينيون بالـ«ين» والـ«يانگ»؟ ألم يقل المسلمون بأنّ الله خلق من كل شيء زوجين؟ أليست الحروف إما متحركة وإما ساكنة؟ ألا يتكوّن الحمض النووي الوراثي من شريطين معانقين؟ إنّ الصفر والواحد يعنيان التوازن، والتكامل، والتناغم، والاعتماد المتبادل.
فكيف يريدون منا أن نضع البيض في سلة واحدة، ونستودع ذاكرتنا في يد عنصر واحد، قد يتمرد علينا في يوم أو تنوبه نائبة؟ إنّ هذا يشي بخطر أكبر، وبحالة تشظٍ وفردانية بدأت تغزونا، حتى صاروا يريدونَ أن يجعلوا حياتنا رهنا لعنصر واحد، قد تصيبه لوثة أوتوقراطية، أو تعتريه نزعات ديكتاتورية.
هل سمعتم بنظام الحزب الواحد الذي شاع في الماضي؟ ها هم يستدعون ماضيا سيّئ الذكر ويحاولون فرض نظام العنصر الواحد علينا، دون أن يعرفوا ما للأنظمة الإلكترونية من مناقب، أو ما لدعواهم من عواقب.

طقطقات إلكترونية متحمّسة، وطنطنات تشجيع.

* * * * *

(٤)

في بث سداسي الأبعاد عبر المفاعل الأكسجيني المَجَرّي، بدت الهايپردكتورة نسمة آل مؤكسج تزفر بكلماتها بكل حماس.

حضرات أبناء حضارة الأكسجين،

صباحكم/مساؤكم أكسجين، عابق بريح الياسمين.

تهريج وهراء! هذا هو الوصف الوحيد لمحاولات لهؤلاء المتعابثين بمصائر كوكبنا؛ الأرض المليحة ذات الخمار الأسود؛ الملاذ الآمن لكل من يتنفّس الأكسجين في درب التبانة. الأرض، هذا الثقب الأسود الإيجاب الذي يجذب كل من يتوق جسده إلى نفخة أكسجين لذيذة.
لقد بلغت منهم العنصرية مبلغها، ووصل بهم التبلّد العاطفي أن صاروا يقترحون «حلولا عملية» لحفظ المعلومات. حلول عملية؟ أمَا أعْمَلَ هؤلاء القوم عقولهم قليلا إذا كانت قلوبهم قد تحجّرت؟ أمَا فكّروا بأنّ حلولهم هذه تصلح لسكّان الأرض من البشر والجن والحيوانات والنباتات والفيروسات، لكنها لا تصلح لبقية الأكسجينيين؟
حقا، ماذا عن الوافدين الأكسجينيين من سكان الكواكب الأخرى الذين عاشوا عقودا طوالا على كوكبنا فعمّروه معنا؟ وماذا عن الأكاسجة الذين قد يكون لنا الفضل في تصنيعهم مع بدايات الثورة الأكسجينية قبل قرن ونصف من الزمان، إلاّ أنّ هؤلاء الأكاسجة أثبتوا مواطنتهم الصالحة، واجتهادهم في العمل، وعاضدونا هم، والمهاجرون الأكسجينيون من الكواكب الأخرى لتكون الأرض رئة هذا الكون، ويفد إليها كل محروم من الأكسجين ليشمر عن ساعديه، فيكون فردا منتجا في مجتمع «كوزموپوليتاني» كوني تكون الأرض فيه سرّة هذا المجرة وسُرورها.

أعزائي بني الأكسجين،
عبر هذا البث الأكسجيني العامر بالأصالة أحيّيكم، يا من تتنفسون الأكسجين، وتنقشون عليه أحوالكم وآمالكم. هذا الغاز هو لُغزنا، هو ميزتنا التنافسية، هو نحن. فبأي حق يأتي أولئك الذين يُسمّون أنفسهم «عصريين» تارة، و«تطويريين» تارة أخرى، و«تقدميين» و«رؤيويين» و«طليعيين» تارة بعد تارة ليقترحوا حلا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب؟ بأي حق؟ وباسم من؟ وعلى حساب من؟ على حساب تراثنا وسر وجودنا؟!

اسمحوا لي في هذه الكلمة أن أفضح الباعث وراء دعواهم المغرضة؛ إنّها الإمبريالية المايكروبيولوجية، إنّه التجمع التجاري لأصحاب الشركات المتاجرة بهندسة المُورّثات. وإلاّ، كيف تفسرون كون السيدة سارة آدم تملك ٧٢٪ من أسهم «شركة جَنَتكَانا العابرة للمجرات - شركة مساهمة كونية مقفلة»، وفي

الوقت ذاته هي رأس الحربة، وفوّهة المدفع لهذا التوجّه؟
إنّهم يريدون منّا أن نتحوّل عن التخزين على الأكسجين إلى التخزين على الحمض النووي الوراثي. يدّعون أنّها طريقة سهلة ومضمونة وغير مكلفة، وتكفينا مؤونة تجزؤ المعلومات، وتحمي السرية، وتحفظ ما يحتاجه الفرد في مُورّثاته. وقد يكون ما يقولونه صحيحا، فلهذه التقنية مميّزاتها، لكن -وكي لا أُتهم بالإنشائية والتدبيج والتهييج العاطفي- فإنّي سأسرد عليكم أهم المآخذ المُفحمة على هذه التقنية:
أولا، هي تقنية عنصرية ضيقة الأفق، تصنع فجوة معلوماتية بين البشر وبين إخواننا الأكسجينيين والأكاسجة الذين يشاركوننا السكن على كوكبنا الأدهم اللامع، ولا تملك أجسادهم مُورّثات، ولا أجسام صِبْغيّة، ولا حوامض نَووية وراثية مثلنا نحن البشر.
وفي هذا غبن لهم، وهضم لحقوق مجموعة متفانيّة ومخلصة من حَمَلَة الجنسية الأرضية بالتجنُّس. فهل عليهم أن يعيشوا بقيّة حياتهم مربوطين بأجهزة تُصنّع لهم المورّثات كي يتواءموا مع اختراعات هؤلاء واختلاقاتهم؟
ما الذي يُجبرهم على هذا، ولهم ولنا في الأكسجين السلوى والكفاية؟
ثانيا، تطبيق هذه التقنية ليس بهذه السهولة، وأنا أدينهم من أفواههم. فتخزين ما تحتاج من معلومات على مورّثاتك لا فائدة منه دون مشروع «الشبكة الحِمْضَنَوِّيّة الكونية»، هذا المشروع التجسسي الاستخباراتي الذي يهدف إلى انتهاك الحرمات، وفضح الخصوصيات الطبيّة بشكل خاص. فكي تتمكن من تشارك المعلومات مع الآخرين، يجب أن تربط حمضك النووي الوراثي بالشبكة، والتي سيكون مسؤولوها هم الخصم والحكم، وسينهبون ما لذ وطاب من معلومات عنك، وستكون فأر تجارب معلوماتي لهم، وأداة إحصائية لأبحاثهم دون أن تدري أو تتاح لك الفرصة أن تنبس ببنت شفة.

يا أبناء الغاز الواحد،
أرسل لكم في هذه اللحظة ذرّات أكسجينية محمّلة بوثائق خطيرة تدل على أنّهم يخططون أيضا إلى إنشاء مفاعل مُورثاتي، يتغذى بالمخلفات المُورثاتيّة المرتبطة بالشبكة الحِمْضَنَوِّيّة العالمية، وهي طاقة رخيصة يمكنها أن تُدرَّ أرباحا طائلة. والهدف من وراء هذا المفاعل هو الاستغناء عن الطاقة الأكسجينية نهائيا! إنّهم يريدون أن يحّولوا الأكسجين إلى عنصر غير ذي نفع شأنه شأن اليُرانْيَم والنفط والفحم، الذين كانوا يُستخدمون في قديم الزمان مصادرَ للطاقة.
كما أنّهم يخططون لاستزراع مُورّث إضافي في حمضنا النووي، ليكون بابا خلفيّا، يسرحون من خلاله ويمرحون بمصائرنا! يدّعون أنّ الغرض من هذا المُورّث هو إمكانيّة الارتباط بالشبكة الحِمْضَنَوِّيّة الكونية، لكني أؤكد لكم أنّه حصان طروادة يرتدي ثياب الدراويش.

أعزائي عشاق الأكسجين،
هذه محاولة إمبرياليّة من مَداحِل تجارية،
وخطوة هيمنة توسعيّة استنفاعيّة يجب أن
نكتم أنفاسها المبخورة.
والآن، فلنقف دقيقة صمت معا، نستنشق
الأكسجين البهي الشهي، ونؤكّد فيه أنّنا لم
ولن نتخلى عن أصالتنا ولو تطاول المُغرضون
المُرجفون.

شهيق وزفير جماعيّان.

* * * * *

(٥)

وتستمر الخطب العصماء إلى أن يرث
الله الأرض ومن عليها.

{وتلك الأيام نداولها بين الناس}
صدق الله العظيم.



حامل الأوراق

بعد رحلة جويّة مضنية عاني جرّاءها صداعا خانقا وألما في مفاصلة الفولاذية الجديدة، جاء الفرج وأُودِعَ في مخزن يخيّم عليه السكون. صحيح أن المكان كان هادئا حدَّ الوحشة، لكن الرحلة الطويلة التي قطعها من أرض سور الصين العظيم إلى الأراضي العربية ألجمته تعبًا، وكان يحتاج بضعة أيام من الراحة، لا سيّما أن فارق التوقيت قد قلب ساعات نومه رأسا على عقب.

وللأمانة، لم يكن الإزعاج غريبا عليه كثيرا، فقد قضى أياما طوالا في مصنع يصطخب فيه كل شيء؛ الآلات، والبشر، ورفاقه من زُبَر الحديد الذين تشكّلوا بأشكال عدّة، ففرقتهم الأيام وتباينت المصائر. كان -يوم كان قطعة غِرَّةً من الحديد- يحلم أن يكون عندما يكبر رائد فضاء، أو بمعنى أدق جزءا من مركبة فضائية؛ مقودها أو حتى دواستها، لا فرق، المهم أن يسافر إلى أفق بعيد وأن يكون له



إنجاز هائل في ذي الحياة. لكن وبعد مقاساة ووافرٍ من الضرب والسحق والحرق والتشكيل انتهى به المطاف أن يصبح حاملا للأوراق بثلاثة أرجل قابلة للطي، وعنق ممشوقة يزينها مفصل أنيق يمكن من خلاله تطويله أو تقصيره. أما صفحة وجهه فمستطيلة وعريضة وملئى بالثقوب. مسكين لا يعرف لم صنعوه هكذا، لكن هذا هو الشكل التقليدي لحاملات الأوراق، وتحديدا تلك المخصصة منها للمسارح وأماكن تسجيل الصوتيات، إنه الخضوع للأمر الواقع والعرف السائد ومتطلبات السوق. صبغوه بلون أسود براق، لون فخم، ملك الألوان هو. صحيح أنه أكثر الألوان صدوحا بالأتربة إن هي تجمعت عليه، لكنّه يظل على سُدَّة التميز.

«حسنٌ، سأدعى أن كل هذه الثقوب عيون؛ عيون واسعة جدا. هاه! يبدو أن الصينيين يعانون من عقدة العيون الضيقة فصنعوا لي كل هذه العيون وبهذا الحجم الفسيح» همس حامل الأوراق في نفسه وأطلق ضحكة باطنية مكتومة.

مضت أربعة أيام، وبعد أن عبّ من النوم والراحة عبّا، غزاه التململ وضاق ذرعا من علبة «الكارتون» المقوى والمُقسّى التي تطبق على أنفاسه، وفوقها أحزمة من البلاستيك الصلب ومشابك حديدية لتضمن ثباتها.
"متى الحرية؟ متى الإنجاز» أخذ يسأل نفسه.

يسمعُ أصواتا تأتي من الخارج، ويمنّي النفس أن تكون تلك الأقدام الطارقة على الأرض ترومه، أو تلك النداءات من الرئيس لمرؤوسه أوامرَ باستجلابه من المخزن وإطلاق سراحه. لا تستغربوا، فمن قال لكم أنكم يا معشر البشر وحدكم تتململون وتضجرون؟ حتى الأشياء تضجر وتتوق للإنجاز، فلا تطيلوا إهمالها.

حامل الأوراق هذا يجيد ثلاث لغات؛ الصينية (وهي لغته الأم) والإنكليزية، والعربية. غريب أليس كذلك؟ هذا في الحقيقة بسبب وجود ملصق تعليمات الاستخدام على علبته الكارتونية مكتوبا باللغات الثلاث، فكان لحامل الأوراق أن يتكلمها!

«أعلم أن الحسد يأكل قلوبكم أيها الآدميون، فأنتم تمضون سنوات وسنوات حتى تتعلموا لغة، أما نحن الأشياء فنكتسبها بملصق نحظى به من المصنع. لكن حنانيكم، فأنتم مستخلفون في الأرض، أما نحن فأشياء بهماء، جمادات عجماوات -ظاهريا على الأقل- ومسخرون لكم بالكامل، فهل على هذا ستحسدوننا؟»
هذا كان رد حامل الأوراق المتلفع بعلبته.
هل تعتقدون أنّ لسانه سليط؟ انتظروا حتى يخرج من علبته!

* * * * *

وظن أنه جاء من يُخْرجه من مهده، ويفك

لثامه. لكن لا، بل لا يزال أمامه رحلة طويلة في شاحنة مترجرجة. تقاذفته اهتزازات الطريق هنا وهناك، فارتطم بحمولات الشاحنة الأخرى ولم يكن يعلم ما هي إذا كان لا يزال محبوسا في علبته. لكنها كانت تصرخ بلغات مختلفة؛ السويدية، واليابانية، والكينية، والإسبانية، ولغات أخرى كثيرة. هو طبعا كان يصرخ بالصينية لأنها لغة المنشأ. وبالمناسبة، لغة الأشياء الأم لا تتغير حتى لو عبث أحدهم بالملصق وغيّرَه. فالبضاعة التايلندية إذا قذفتموها في الهواء ستصرخ فزعًا بلغتها الأم رغم ملصقها المزور الذي يقول أنها مصنوعة في فرنسا أو في إيطاليا. فلا تتوقعوا منها أن تصرخ بحرف الراء الفرنسي المتسربل بالغين، ولا بالراء الإيطالية الثقيلة والمتفجرة، ستصرخ بالتايلندية وحسب. أهٍ، لو أن العلماء تظافروا مع موظفي الجمارك لاختراع جهاز لفك لغات الأشياء لصار بإمكانهم وبسهولة ضبط البضائع المقلدة!

ربضتْ الشاحنة وجاء وقت رحلة الصعود. كان العمال الذين نقلوه يصعدون على الدرج لا بالمصعد، وأظنكم تعرفون الطريقة المفضلة في نقل الحمولات الخفيفة كما هو الحال مع حامل الأوراق المسكين. أخذ كل زميل يرمى به في الهواء إلى زميله الأعلى منه حتى وصل إلى الوجهة المقصودة. وصل وقد شحُب خوفا وهلعا من رحلة الطيران الهوائي التعذيبية التي لقيها.

حرّروه أخيرا من الأربطة والعلبة ولم يبقَ سوى كيس بلاستيكي خفيف يُجلِّله، وقريبا يحين وقت الجد والكدح، فهذه هي حياة الجمادات، بل حياة كل شيء على البسيطة، كَبَدٌ في كَبَدٍ وعناءٌ في عناء. لكن كيف تكون الحياة حلوة دون كدّ يعقبه إنجاز؟

ولعلكم تتساءلون أين انتهى به المطاف وماذا سيكون عمله. هو الآن في شركة لأحد المتعهدين المتخصصين بتجهيز الفعاليات والأحداث من مؤتمرات ومعارض وحفلات وغيرها. المسكين عاد مجددا إلى مكان هادئ بشكل مزعج! تركوه وحيدا في غرفة تخزين خاوية. وهذه المرة لم يكن يعوزه النوم، بقدر ما يعوزه الأمان من بعد رحلة الأهوال في الشاحنة وعلى عتبات الدرج. كان يبحث عن أحد يشكو له ويتسامر معه، فحتى الأشياء اجتماعية بطبعها، لكن لم يجد شيئا، فالغشاء البلاستيكي الذي يغطيه يتكلم لهجة مختلفة من اللغة الصينية لم يكن يعرفها، أما العلبة والأشرطة التي ألقيت بجانبه مدحورة فكانت معادة التصنيع، لذا لم تكن تقوى على الكلام. تقوّسَ على نفسه وأجد يجتر أحلامه بإنجاز ما في ذي الحياة.

وبزغت شمس النهار الأول، وجاءت يد دافئة تختطفه من الملل، وتقتطفه من التبرم. وُضِع في سيارة مع بعض المعدات التي أخذ يبادلها الابتسامات وحسب نظرا لاختلاف الألسنة. كان خائفا أن تكون السيارة بالية



مثل الشاحنة التي سبق وأقلته، لكنه على الأقل ليس داخل علبة ويمكنه أن يرى ويتوقع المنعطفات الخطرة فينطق بالشهادتين قبلها تحسبا.

«حسنٌ على الأقل سأعمل، سأنجز شيئا، فهذا أفضل من الموت مللا. الحركة بركة حتى لو كانت طيرانا في الهواء» هكذا قال الحامل. قرأ دعاء الركوب، فكفاه الله وعثاءَ السفر.

وصل إلى وجهته وللمرة الأولى تحرر من الكيس البلاستيكي الذي أطبق على أنفاسه، وللمرة الأولى هناك من سحب قوائمه وفرشها على الأرض ووضعه في وضع الاستعداد، للمرة الأولى هناك من أمسك بجيده وعدل طوله، للمرة الأولى مسحوه ونظفوه وجهزوه. لقد راق له الوضع كثيرا.

هو الآن في أحد «استديوهات» التسجيلات، وبعد قليل سيأتي أحد القرّاء لتسجيل بعض سور القرآن الكريم.
جاء أحد العاملين ووضع مصحفا على صفحة وجهه المليئة بالثقوب. هنا، كاد الحامل يجهش بالبكاء لولا أن لا دموع له رغم كثرة عيونه. «رباه، ليت لي فما لأقبّل كتابك. ربي اسمح لي أن أقبّله بعيوني كلها» هكذا قال الحامل وقلبه يتفصّد شوقا وتوقا.
ومضت الدقائق والساعات. حلّق حامل الأوراق فيها إلى أفق بعيد، بعيد. كان يريد أن يكون رائد فضاء، وإذا به يحلق إلى ما هو أبعد من ذاك. حاملٌ للمسك كان يومها.

لكنّ اللحظات الحلوة تذوب بسرعة، انتهى عمله وعاد إلى حيث كان. وهذه الليلة أيضا حرموه الرفقة والأنس، فتركوه قرب المدخل. لكنه لم يأبه كثيرا، وأخذ يردد ما أمكنه حفظه من كتاب الله من القارئ. هل نسيتم أنه مصنوع من الحديد؟ لذا ذاكرته أيضا حديد!

* * * * *

أيقظتْهُ في النهار التالي يد مختلفة؛ يد باردة وخشنة. قذفت به إلى السيارة نفسها، لكن الطريق كانت اليوم وعرة، والسائق كان متكدرا. والمعدات التي كانت معه كانت مختلفة عن تلك التي صحبته أمس. كانت نزقة ومضطربة وتصرخ عند المنعطفات بلغة غريبة وقاسية. وفوق ذلك كانت المعدات تتغامز وتسخر ربما من كثرة عيونه أو من صراخه الغريب بالصينية، الله أعلم. باختصار، الطريق كانت مقبوحة وكذلك الرفقة. أجارهم الله مما ينتظرهم.

أنزلته يدٌ خشنة أخرى، وهذه المرة لم يكن عليه عباءة بلاستيكية تحميه. نصبوه فوق مسرح مهيب ورصوا المعدات النزقة حوله. لا تزال المعدات تتغامز وتلمزه، وهذه المرة زاد حقدها عليه كونه وضع في مقدمة المسرح. أخذ يسلي نفسه بقراءة ما حفظ من قرآن، ويتبسّم لهم ويحاول ملاطفتهم بلغة الإشارة

أحيانا أخرى. كفوا ألسنتهم الراطنة قليلا عنه، لكن لا يزال فيهم وهج ما، وهج نزق، رآه في عيونهم، وفي جلبتهم، وفي حركاتهم التي كانوا يسترقونها متى ما غاب العمال عن المسرح. يبدو عليهم القدم بعض الشيء فخدوشهم كثيرة، أم تراها جراح المعركة؟ معركة الحياة ومعتركاتها؟ وما أدراه هو عن الحياة وقد كان الأمس في المهد صبيا.

المسرح خلية نحل، ويبدو أن الحدث كبير. وها قد جاء صاحب الحدث الأكبر! النجم العظيم، معشوق الجماهير، وحبيب الملايين، ومؤجج قلوب العاشقين، ليتدرب قبل الحفلة التي ستعقد غدا.

اعتسفوا على رأسه بأوراق تفوح منها رائحة السجائر. ثم اقترب «النجم» منه وعلت الموسيقا.
أخذ الصداع يسري في أوصال حامل الأوراق، لكنه لم يعلم أنه سيصاب بالغثيان حين يبدأ «النجم» بالغناء:
«حبيبي يا روحي، يا دواء جروحي. أنا في العذاب وأنت كل طموحي.»

«يا للرداءة! حتى أنا -ورغم أن لغتي الأم صينية- أستطيع نظم كلمات بالعربية أكثر احتراما وجزالة من هذه!" صاح الحامل متبرما.
لكنه سرعان ما تلجَّم حين أخذت الأغانيّ تأخذ منحى أقرب إلى البذاءة.

«ما هذا؟ ما بال بني آدم؟ هل حقا سيقول هذا الكلام أمام الجمهور غدا؟ «يا ليتني متُ قبل هذا وكنت نسيا منسيا» يا ليتني متُ قبل أن تحمل صفحة وجهي هذه السخافات." هتفَ حامل الأوراق حانقا.

والأفظع أن «النجم» كثيرا ما كان يحتك بحامل الأوراق، إذ أنه وعلى ما يبدو لم يحفظ الكلمات جيدا، فتارة يأخذ ورقة وتارة يعيد ورقة، وتارة يعدل طول الحامل، والمسكين صابر محتسب على يدر الغدر والسخافة.

انتهت التدريبات ومساء الغد الجد!

* * * * *

ليلة عصيبة كانت، ولم يختلف النهار التالي لها عنها. العمال يجوبون المكان تنظيفا وترتيبا وتزويقا، وحامل الأوراق يتفتت سخطا. لم يكن متقبلا لفكرة أن يكون حاملا للكير، أن يكون معينا لهذه السخافات.
«لكن ما شأني، فأنا جماد مسخر، والبشر هم المحاسبون على حسن أو سوء استعمالي» هكذا همس في نفسه.
«لا، علي أن أفعل شيئا» همس تارة أخرى

وظلت الأفكار تطبخ في رأسه.

جنّ الليل، ووقف النجم وأزيح الستار، وسرى التصفيق والصراخ في القاعة.

ابتلع الحامل ريقه وأخذ ينظر لزملائه من المعدات النزقة؛ المايكروفون، توصيلات نظام الصوت، الإضاءة، آلات الجوقة الموسيقية.
«آلات نزقة، لا أظنها ستعينني، سأخدم قضيتي بنفسي!» همس حامل الأوراق لنفسه.

بدأت الموسيقا تعلو، ووضع النجم يده على الحامل وشد أزر الأوراق وأسرها، فالآن سيغني أغنية «شهيد الحب».
«ها ها ها! يسمي نفسه شهيد الحب وهو لا يزال حيا؟! حقا هؤلاء البشر أفّاقون أفّاكون» قال الحامل.

استجمع قواه، واهتزّ قليلا ميمنة ميسرة، لكن لم يرف للنجم جفن، كان مأخوذا بصراخ الجمهور ولم يلاحظ حركة حامل الأوراق.

استجمع قواه أكثر وقال في نفسه: "سيكون هذا مؤلما، لكن ليس أكثر إيلاما مما أسمع الآن من سُخف.»
استجمع كل ما أوتي من قوة، وقذف بنفسه على أرض المسرح وتطايرت الصحف؛ بعضها طار وتلفقه المعجبون والمريدون ولا سبيل لاسترجاعه، والبعض الآخر تناثر على أرض المسرح.
أخذ النجم يهمهم ويدندن ويعيد المقطع الذي كان يغنيه، فلم يكن يحفظ الكلمات بإتقان، إلى أن جاء أحد العاملين وأعاد وضع الحامل ورص فيه ما تبقه من أوراق تبعثر ترتيبها.
طبعا الكل ظن أن حامل الأوراق سقط بسبب ارتطام النجم به حين كان يرقص على المسرح، أو لأي سبب «فيزيائي». لم يدُر في خلد أحد أن يكون هو قذف بنفسه.

مرت دقائق دون مفاجآت، لكن وفجأة، انقطع الصوت. المايكروفون لا يعمل، أو لعلها السماعات! اضطروا للتوقف وأُغلق الستار لتدارك الوضع وإصلاح «الخلل الفني».
أخذ بعض الجمهور يصفق تشجيعا ويصفر، لكن الغالبية أخذوا يتبرمون ويتذمرون، ولحسن حظ النجم أنهم لم يكن معهم شطائر بالبيض والطماطم، وإلا ...!
غمز المايكروفون لحامل الأوراق وابتسم. كان الحامل شأنه شأن بقية الموجودين يظن أن تعطل الصوت فعلا أمر عارض، لكن ابتسامة المايكروفون له جعلت أساريره تنفرج.
"حتى النزقون لا يقبلون بالسخف» قال في نفسه، وبادله التحية بغمزات من أعينه الكثيرة.

فُتح الستار مجددا، وعاد الوضع كما كان تقريبا؛ مراهقات مبتليات يصطرخن، ومراهقون أرهقوا عمرهم وأثخنوه.
لكن وفجأة، فقد «الغيتار» دوزنته، وصوت بقية الآلات صار نشازا في نشاز، والوضع مقلق، و»النجم» يتصبب عرقا. لكنّ الحامل ابتسم كما لم يبتسم من قبل حين غمزت له آلات الجوقة الموسيقية!

«كنت أظنها نزقة ومارقة، ما ظننت أن لها قلبا.» قال الحامل.

هنالك اتخذ حامل قرارا قد يكلفه الكثير، لكنه كان سعيدا بتلك البسمات والغمزات من أصحابه الذين لا يعرف حتى لغتهم.
نطق بالشهادتين، وألقى بنفسه من فوق المسرح، وطارت الأوراق كالفراش المبثوث، وأفل نجم «النجم» تلك الليلة. استقر حامل الأوراق على الأرض الصلدة بين أقدام الجماهير الغاضبة. صحيح أن عنقه الأغيد تأثر، لكن في الغالب سيعالجونه بشريط لاصق، أوفي أسوأ الأحوال سيقومون بإعادة صهره وإعادة تدويره، وربما صار هذه المرة فعلا جزء من مركبة فضائية وحقق حلمه البعيد.

البعض فسر ما جرى تلك الليلة بـ«عين» أصابت النجم أو «نحس» يطاردهـ، أما «النجم» الآفل فكان يصر أنها مجرد مجموعة صدف متلاحقة لا أكثر، وصرّح بأن خبير الأبراج نصحه ألاّ يعني تلك الليلة. ووعد الجماهير بألا يتحرك في المستقبل دون استشارة الأبراج!

في المرة القادمة إذا رأيتم الأشياء تتآمر وتتحرك لتحارب سخفا ما، أو تفتعل «خللا فنيا» لتنكر منكرا، اعرفوا أن ثمّة «حامل أوراق» حمل لواء التغيير، «حامل أوراق» لم تُعِنه الدنيا ولا ظروفها كي يحقق حلمه البعيد، لكنه أدرك أن الحياة قصيرة، وإن «ما لا يدرك كله، لا يترك جُله»، فأنجز في محيطه الصغير حتى وإن كان إنجازه مجرد أن يرفض أن يكون مُعينا على المنكر!



لا صَبَابَة

دلف الأستاذ الدكتور شمسان أبو الهيل إلى «القاعة الزفيرية» في أحد الفنادق الفخيمة. جلس وتنحنح، ثم اعتدل وتبّسم لكاميرات الصحافيين الذين انسلّوا من كل حدب وصوب ليستمعوا إلى تفاصيل إطلاق هذا العقار العظيم. في الحقيقة، فكرة العقار وحدها عظيمة ولافتة، لكن أن يكون هذا السبق الطبي اختراعا عربيا، فهذا وحده جدير بالتحدث عنه والتحدُّج فيه.

سيداتي وسادتي شكرا لكم على حضوركم الميمون.
لن أستخدم الطريقة العربية المعتادة من تمجيد وتدبيج وسأدخل في الموضوع مباشرة، فعاداتنا السيئة نحن العرب كثيرة، والاختراع العظيم الذي نقدمه لكم اليوم ما هو إلا «خطوة صغيرة لشركتنا وقفزة عظيمة للبشرية» في سبيل التخلص من العادات التي تكبّل بني البشر.



سيداتي وسادتي نقدم لكم اليوم حبوب «لا صبابة ٢٥٠ ميليگرام لمنع الوله والغرام» وهي وباختصار حبوب لمنع الحب!

سيداتي وسادتي،

يهدف الطب إلى تخليص البشر من الألم، وقد تبث على مدى التاريخ أن أكبر سبب للألم والمعاناة هو الحب. فالمريض بارتفاع كولسترول الدم يقاسي أيما مقاساة حين يرى «الكنافة» معشوقته. فإن هو طالها تبددت صحته وتيبست شرايينه، وإن هو منع نفسه عنها ذوى بالحب ومات كمدا، وقيسوا على ذلك. لكن اليوم وبفضل «لا صبابة ٢٥٠ ميليگرام» سيكون بإمكان الإنسان التغلب على عشق كل وأي شيء أو أحد.

لا يخفى عليكم -ومعروف أن الصحافيين من أكثر أصحاب المهن ثقافة- أن للحب أسماء في اللغة العربية، وكلها فيها من الألم والمقاساة والنزاع ما فيها. ويكفي أن الجوى كلمة تعني الحب وتعني الألم في الوقت نفسه.

وبما أننا مرتبطون بتراثنا المجيد، قررنا تسميه هذا المنتج العجيب «لا صبابة» وكما يقول الشاعر العربي:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده *** ولا الصبابة إلا من يعانيها

لذا صببنا بحوثنا صبّا طوال ٣٥ عاما لإيجاد طريقة فعالة تخلص بني البشر، وتحديدا العرب، من الحب بكافة أطيافه وأشكاله وإشكالاته. ونفخر بأن الفريق الذي عمل على هذا الابتكار العجيب مكون من العرب ابتداء من الآمر الأكبر وانتهاء بالفرّاش الأصغر. ولهذا اخترنا أن يكون اسمه التجاري «لا صبابة» وبالإنكليزية «La Sababah». صحيح أن ذهن البعض سيظن أن المنتج إسباني أو برتغالي أو ربما «جنركي» (جنوب-أمريكي) نظرا للجرس الموسيقي للكلمة، لكن أؤكد لكم أن هذه إحدى مخلفات عقدة استحقار العرب، ولا أخفيكم سرا أننا نعمل أيضا على عقار يخلص الغرب من هذه العقدة النكراء.

ضج الصحافيون، وطلبوا فتح المجال للأسئلة. فبادرهم الدكتور أبو الهيل قائلا:

«كل شيء في وقته حلو» كما يقول المثل. سنخبركم عن هذا الابتكار في حينه. لكن اسمحوا لي أن أزيدكم من الشعر بيوتا وبنايات، فعلى جدول أعمالنا بخّاخ معقم للقلب، وحبوب فيتامين واو، وخافض للقهر، ومسكّن للغيرة، و«قراص لتطهير الحلق بعد الاغتياب، وأقرص فوّارة لتحفيز الصدق والصراحة، وغيرها كثير.

لكن أرأيتم حبكم أيها الصحافيون للبحث والنبش عن الأخبار والأفكار؟ أليس مزعجا هذا الترصد والتقصي؟ أعلم أن مهنتكم مهنة البحث عن المتاعب ومنها أكل خبزكم، لكن «الفضول قتل الهرّة» كما يقول الإفرنج، وهذه النزعة التوّاقة إلى الأخبار نزعة مزعجة، خاصة حيث تتعدى الصحافيين وتصل إلى الزوجات، فهن دائما متعطشات إلى المعرفة، لكن ليس أي معرفة! بل معرفة أين كنت، ومتى، وكيف، ولم، ووو. هذا الحب غير المحمود لمعرفة الأخبار لدى البعض بحاجة



إلى تدخل طبي. وهنا يأتي دور «لا صبابة ٢٥٠ ميليگرام» في حقن الدماء، وحفظ الحرمات، وإطالة عمر الزيجات.

وأرى أن أخواتنا الصحافيات منزعجات، لكن أطمئنكن أن هذا الاختراع ليس موجها ضدكن، بل أنه مفيد جدا للأزواج زائغي الأعين والقلوب، فيمكنكن من خلاله التخلص من جميع النزعات التطلعية والآمال الاستعمارية الخارجية لدى أزواجكن! ولو أن أحمد شوقي تناول هذا العقار لما قال بيته المشهور:

اثنان حدث بالحلاوة عنهما *** ثغر الحبيب وطعم حلو البُحصَلي

هذا البيت بالمناسبة إهانة ما بعدها إهانة، فهو أولا يتغزل بحلويات لم تصنعها زوجته ولا خادمتهم ولا «سُفْرَجيهم»، وهذا عار وشنار ومخالفة بروتوكولية لا يصح أن تخرج من فم أمير، فما بالكم إذا كان أميرا وشاعرا. كما أن «ثغر الحبيب» بطبيعة الحال ليس ثغر زوجته، -فالعربي يأنف أن يصف ملاحة زوجته أمام الناس- وهذا أمر كان على شوقي ٠غالب الظن- أن يبرره لحرمه. طبعا قد يكون هذا الحبيب تخيليا، وصحيح أن أعذب الشعر أكذبه، لكن هذا مثال جليّ مبين على مضار التعلق بشيء، ولو كان هذا الشيء مجرد حلوى، فكم من البلوى جاء من الحلوى.

سيداتي سادتي،
وداعا للوجد والهيام،
وداعا للعشق والغرام،
وداعا لسيئ الأسقام،
مع «لا صبابة ٢٥٠ ميليگرام»!

أشكر لكم حسن استماعكم، ونفتح المجال للأسئلة.

- سامي سامر من جريدة المعابر.

س: دكتور أبو الهيل، هلا بينت لنا كيف يعمل العقار؟ هل يستهدف مثلا مراكز معينة في المخ؟

ج: العقار يعمل بطريقة مبتكرة عزيزي مبعوث جريدة المعابر. فهو يعبر المراكز المسؤولة عن العواطف في المخ ويعمل عمله فيها بطريقة لا أستطيع شرحها لأسباب احتصارية احتكارية بحت. لكن كما تعلم أن الحب في النهاية كيمياء، وفي أحسن الأحوال يستمر ٧ سنوات وما أكثر من ذلك فهو تعوّد وعِشْرة. و«لا صبابة» يعمل على تغيير التركيبة الكيميائية في المخ.

- سهام الساهوم من جريدة السهم الصاعد.

س: هل يعمل العقار على حب شيء أو شخص محدد أم أنه يقطع أي أثر للحب من حياة الإنسان؟ وكم الجرعة المنصوح بها للشخص في اليوم؟ وكم المدة؟

ج: كنت أنتظر هذا السؤال. عبقرية هذا العقار يا صاحبة السهم الجبّار هو أنه أول عقار من نوعه يعمل على المستوى الجسدي والنفسي في الآن نفسه. لا أستطيع التفصيل

لأسباب احتصارية احتكارية بحت كما أسلفت، ولكن عندما يأخذ الشخص العقار يجب أن يركز تفكيره في الشيء الذي يريد التخلص منه، ومن ثم تنشأ علاقة نفسَجسمية عنقودية انشطارية بين مكونات العقار الفعالة وبين الإحساس النفسي الذي يختلج في قلب الإنسان وأوصاله، فيبدأ الشخص يفقد عواطفه تجاه الشيء أو الشخص المعني.
وطبعا يمكن أن يقرر الشخص أن يتخلص من حب أكثر من شيء أو شخص لكن عليه مضاعفة الجرعة، فمثلا «روميو» -لو كان بيننا اليوم- عليه أن يداوم على العقار يوميا لباقي حياته لأن السيد «روميو» مبتلى بنوع غريب ونرجسي من أنواع الحب وهو حب الحب ذاته! أي أنه كان واقعا في غرام الغرام، أي يريد أن يغرم ولا يهم بمن، «جولييت» أو من قبلها «روزالين»، المهم أن يجب. وكان بالمناسبة ذاهبا إلى حفلة يتعقب «روزالين» التي حرقه حبها، فرأي جولييت وغير الأخ رأيه! وهذه على أي حال حالة مستعصية ونادرة الحدوث تاريخيا وإن كان بعض الشبان المتسكعين في الأسواق يعيدون إحياءها، فهم يريدون أن يحبوا ولا يهم أتكون غيداء حسناء، أم مجرد عابرة سبيل شوهاء تشبه الكائن الفضائي E.T. وقد ارتدى شعرا مستعارا، المهم أن نكون شيئا ينتهي بتاء مربوطة أو ألف ممدودة أو مقصورة. لكنهم إذا تناولوا العقار في سن مبكرة، أضمن لكم أنهم يمكنهم التوقف عنه أخذه بعد مرور سنة واحدة فقط، وإن كنا ننصح بمعاودة تناولهم العقار قبيل دخولهم سن اليأس الرجولي، أو المراهقة المتأخرة كما تسمونها في الصحافة.

- بدران بادر من جريدة الشرق الهادر.
س: هل ثمة مضار جانبية للعقار؟
ج: كنت أنتظر هذا السؤال أيضا. نفخر أن هذا العقار العجيب مستخلص من مكونات طبيعية تماما، فهو مركب من ١٧٤ عشبة ونباتا ضاديا. وقبل أن تسألني عن معنى «ضادي» أبتدرك يا بدران بادر أنها مشتقة من لغة الضاد أي اللغة العربية. فجميع الأعشاب المستعملة في العقار زراعة عربية ١٠٠٪ وبأسمدة عضوية أيضا.
ويشمل العقار على مستخلص بذر اللبّان، وشرش الطليان، وزنبق الرمان، وبذرة بؤبؤ الكتّان، وأقحوان الجبل، وطيلسان الراعي، وإكليل المكلوم، وسيقان الخرداذبة، وبتلات زهور العليق، ونفائخ أغصان البان، وسيقان الخلّكان، ونخاع القرنفل، وجذور الفلفل، وقشور البطيخ الأحمر، وبذور الشمام الأزعر (وفي لغةٍ الأشقر)، وأشواك شقوق النعمان، وأنياب بذور الرمان، ومسحوق النيل، وخلاصة سن الفيل. وهناك أيضا مجموعة أعشاب سرية اكتشفناها ولم نسمها بعد، وأعتذر عن الكشف عنها للأسباب الاحتصارية الاحتكارية البحت التي أخبرتكم عنها.

س: عفوا حضرة الدكتور، لم تجبني، هل من أعراض جانبية للعقار؟ وجود كل هذه



الأعشاب معا ألا يؤدي إلى تفاعلات غير محمودة بين موادها الفعالة، وكما تعلم أن هناك ...

ج: اسمع يا بدران، ولا تكثر الكلام مثل الأميّين من العربان. أقول لك أن المنتج عشبي نباتي، فكيف يكون له آثار جانبية. كما أن الأعشاب عربية، فإذا كانت ستضر أحدا، فهي ستضر الإفرنج، ومنتجنا ولله الحمد مخصص للاستهلاك المحلي، ولا ننوي تصديره للخارج إلا قبل أن نفيد وننفع بني جلدتنا.

طبعا هناك بعض الأعراض البسيطة التي قد تصيب بعض الحساسين مثل التلبك المعدي البسيط أو الصداع، ولا يخفى على حصافتك أنه لا عقار تقريبا يخلو من هذه الأمور خاصة إذا كان يؤخذ عن طريق الفم.

س: حسنٌ، هل تم تجربته على البشر؟

ج: لقد جربناه على من هو خير من البشر، جربناه على الفيلة والجمال وعصافير الحب! أجل، أجل، لا ترفعوا حواجب الدهشة هكذا فهذا لا يليق بمقامكم الصحافي. فالفيلة معروفة بذاكرتها الأكيدة العنيدة التي لا تنفع معها أي مساحيق الغسيل، وإخواننا الغاليون، -ولا يخفى على حصافتكم أن بلاد الغال هي فرنسا- يقولون في أمثالهم أن لفلان ذاكرة فيل، أي أنّه لا ينسى. وقد جربنا حبوب «لا صبابة» على الفيلة الهندية والإفريقية المهجنة المدجنة من جهة، والطليقة الأصيلة من جهة أخرى وكانت النتائج زاهرة باهرة. أما الجِمال، فكما تعلمون أن الجمل للأسف كائن حقود إذا ما أذاه أحد، و«الزايد أخو الناقص» كما يقول المثل الشعبي، والحقد والكره شقيقا الحب. لذا جربنا مفعول «لا صبابة» على الجمال وكانت النتائج نائخة ... أقصد زاهرة باهرة.

أما عصافير الحب، فأؤكد لكم أننا جربناها على عصفور حب من فصيلة «الدونجوانيات» فانقطعت شهيته عن التغريد والغزل، وتبتل وتنسك وترهبن. فاضطررنا إلى وقف العلاج خوفا من انقطاع نسل هذه الفصيلة النادرة.

أما الآن، فيسرنا مسامرتكم ومماحتكم على مائدة بها بضع لقيمات عملا بالمبدأ العربي «إذا دعوت فأولم». كما يسرنا تقديم علبة مجانية من «لا صبابة ٢٥٠ ميليگرام» لكل منكم. فتفضلوا يا رعاكم الله.

* * * * *

انفض الجمع، وتوافد الصحافيون تترى إلى طاولة توزيع عبوات «لا صبابة» المجانية، ثم تحلقوا حول المائدة. لكن بدران بادر لم يكن من الصحافيين السائغين.

أخذ يقرأ النشرة الداخلية، والغريب أنها مكتوبة باللغة العربية فقط، وهذا أمر يفترض به أن يسر، لكن شيئا كان يقول له أن في الأكمة غول مستخفٍ.

قلّب بصره في النشرة الداخلية بحثا عن الأعراض الجانبية بعيدة المدى. وها قد وجدها:

«الاستعمال طويل المدى لـ«لا صبابة» قد يسبب داء الاستحمار لدى البعض، وقد لوحظ ذلك في التجارب المخبرية على الحيوانات. كما أن هناك إمكانية نظرية (لم يتم إثباتها) على ظهور نزعات ملائكية لدى البشر».

«سحقا، ما هذا؟!» صاح بدران، وأخذت نفسه تحدثه عن رائحة لذيذة لسبق صحافي في الأمر، لكن كيف يكون السبق سبقا وهو لا يعرف فعلا ماهية الأعراض الجانبية، نعم تبدو غريبة ومخيفة، لكن ما كنهها يا ترى؟!

أوقن أن الدكتور أبو الهيل سيتملص بسحر البيان الذي أوتيه. أخذ يقلب عينيه في القاعة بحثا عمن يمكنه أن يفيده. أخذ كوبا من العصير وأخذ يحاول التودد إلى الشخص الجالس في طاولة الاستقبال قرب مدخل القاعة، ومع قليل من مهاراته الاجتماعية، استدل على أعضاء الفريق العلمي المساعد لأبي الهيل.

أقترب من الدكتور رفعان رفيع الدين لا لشيء سوى أن الاكتظاظ كان معدوما عنده، كان واقفا يستظل بخجله وبطموحاته المهزوزة. ومع شيء من الرشوة العاطفية ووعود الشهرة الصحافية، تمكن من توطيد علاقته بالدكتور رفعان. موعدها بعد غد لإجراء حوار صحافي موّسع معه.

* * * * *

وصل الدكتور رفعان إلى مقر الصحيفة قبل الموعد بنصف ساعة، لكن ذلك ما كان ليزعج بدران، أدار مسجلته، وحضّر أسئلته، ومد ابتسامته.

أخذ الدكتور رفعان يثرثر بشراسة. غريب أن تكون هذه القدرة لدى هذا الشخص الخجول المتلفع بنظارة تشبه عدستها قعر قارورة المياه الغازية، لكن بدران كان مسرورا.

وفجأة، أطفأ بدران مسجلته الموضوعة على الطاولة ونظر نظرة خاطفة إلى حاسوبه ليتأكد من شيء ما، ثم يمم وجه شطر الدكتور رفعان سائلا:

- دكتور، أعلم أنك لك ضلعا كبيرا في عقار «لا صبابة»، ومما حكيت عن نفسك أشعر أنك أفضل من أسأله عن هذا العقار. في الحقيقة هذا سؤال شخصي، لذا اخترت أن أغلق المسجلة. فهل تخدمني في ذلك؟

- بكل سرور يا صديقي.

- في الحقيقة أنا أود استعمال العقار، إذ لدي مشكلة عاطفية أود التخلص منها. وأرجو أن يظل هذا سرا بيننا، وأني لأرى في العقار خلاصي. لكنك تعلم قلق الصحافيين حول التفاصيل؛ الأعراض الجانبية، هلا أخبرتني عنها أكثر؟ وأنا أعرف أنك خير من تفيدني عمّا يمكنني توقعه. في الحقيقة قرأت النشرة الداخلية؛ الاستحمار وداء الملائكية أظن ...

- لا تقلق يا صديقي، هذه مجرد احتمالات نظرية، يجب تجربة العقار على البشر أولا

لنتأكد.

- حسنا، حدثني عنها، إلا إذا كان هذا الجانب ليس من ضمن اختصاصاتك.

- لا، لا. أنا مطلع على جميع جوانب العقار. دعني أخبرك. أنت تعلم أن الإنسان في معظم حالاته مخيّر، هناك بعض التسيير، لكن التخيير غالب، وأكثر ما يجعل المرء يتخذ قرارات هوجاء هو الحب. وبالله عليك، إذا لم يحب الإنسان، فكيف له أن يخطئ؟ لا أتكلم عن الحب بين الجنسين، بل عن حب أي شيء والتّولع به. لولا مقدرتنا على محبة الأشياء والتعلق بها، لصرنا لا نخطيء، لصرنا ملائكة. ونحن نخاف من أن يقوم بعض المهووسين باستعمال العقار ضد جميع أنواع وحالات الحب التي يمر بها، وبهذا يكون شخصا قريبا من الملائكة، خاليا من أي إرادة على الخطأ، فكما قلت لك، كيف تخطئ وأنت لا تحب؟ وضعنا هذا التحذير في النشرة الداخلية تحسبا من بعض من قد يكون لهم اعتراضات دينية حول الأمر، لكن الإدارة القانونية في الشركة تعمل على إيجاد تخريجة. ثم لا أظنك ستستعمل العقار لتكره كل شيء، فلا تقلق يا صديقي.

- حسنا، ماذا عن الاستحمار؟

- ها ها ها! هذه الكلمة بالذات أنا من سبكتها!

- وما أعراض الاستحمار التي تسببها الحبوب؟

- هذه أيضا يا عزيزي مجرد حالة نظرية، إذ أننا نخشى أن يقوم بعض الأهالي من إجبار أبناءهم على أخذ العقار قبيل المراهقة ليمنعوهم من الوقوع في الحب، وهذا أمر خطير. عدم تجربة الإنسان للحب أمر له أعراض خطيرة جدا.

حقا؟

أجل، أما سمعت قول الشاعر:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى *** فقم فاعتلف تبنا فأنك حمارُ

كما قلت لك، لا داعي للقلق. والآن، دعني أحدثك عن البحث المشترك بيني وبين البروفسور ماكميليان.

تهلل وجه بدران، والتفت مرة أخرى إلى حاسوبه، أراد أن يتأكد برنامج التسجيل عبر المايكرفون الموصول بالحاسوب يعمل!

انقطع خيط القطن

ثمة حاجز يحول بيني وبين الكلمات حين أكون في حضرة الناس. كلماتي في داخل نفسي تنطلق كالشهب أو كالخيول أو كصواريخ «ناسا»، لكن حين أكون في حضرة البشر، لا أعرف لم أكتفي بالحواجز الدفاعية: الابتسام، وهز الرأس، وشيء من كلمات المجاملة.

نظري في أعين الناس يجمد حاسة التفكير عندي، الأفكار تهرب وتطلب حق اللجوء في مكان آخر غير عقلي. وأبقى عيّةً، وأبقى سَكُوتا.

«فتوح، أما تزالين معنا؟» هكذا يسألونني حين يخذلني لساني -كعادته- ويتحول إلى أنشوطة معقدة كتلك التي يربطها الكشّافة.

وبعدما ينقضي الموقف، أبدأ بلوم نفسي: كيف بلعت لساني ولم أرد؟ كيف نسيت أن أطرح هذه النقطة؟ كيف عازتني اللباقة أن أرد على ذلك؟



شيء ما يحدث لي؛ هل هو نوع جديد من أنواع الرُهَابات؟ رُهَاب الكلام؟ يقال أنه من الجيد أن يعد المرء للعشرة، لكني أظل أعد الخراف، وأعدها، وأعدها، وتضيع الفرص، وتنقضي المواقف، وأتحمل الإهانات، وأظل أعد الخراف خوفا من أنطق بما هو غير مناسب.

يظنون أني خجلى، أو ضعيفة الشخصية، أو طيعة وسهلة الانقياد، ولست أيا مما سبق. أنا لينة العريكة ومتسامحة، لكن لدي عقل راجح وقادر على إطلاق رصاص الكلمات بسرعة فلكية. لكن في حضرة الناس ينتابني شيء ما يقيِّد تلافيف مخي ويغرقها بسائل لزج، فتنشغل عن الموقف بمحاولة النجاة من الغرق، وتتركني أغرق في لجة حضرة الناس، وقلبي يتصبب عرقا، ونفسي تقطر جمودا وقلة حيلةً.

حينما يلقي أحدهم بشباك النقد أو التهديد أو التهوين من شأني، إني أستسلم صاغرة بل وأفترض أن الحق -كل الحق- معه! لماذا لا أقف وأدافع عن نفسي؟ لماذا أشعر بالخوف وأميل إلى التسليم والخضوع و«السير تحت الحائط»؟

ثمة شيء في نفسي مكسور، وزجاجه يخزني كل لحظة، كما تقلبت نفسي على جنب ما، وخزتها الزجاجات الصغيرة في مقتل، حتى حارت نفسي كيف ومتى تقر أو تنام.

أتأمل إخوتي السبعة في فُرُشهم. تركهم والداي في جيدي، وانطلقا إلى السماء. وأتحسس لساني المكبل قلقا. ثمة شيء كسر، ثمة أمان اختطف، صار الخضوع للخوف والتهديد قُوتا يوميا، والمسالمة والمسايرة أرغفة نهاري وليلي. أخشى أن أُطمئن نفسي، أخشى أن أشعر بالقوة، أخشى أن أتعلّم كيف أتكلم، فيحدث ما يحدث.

«أهلا بك في المجتمع العربي»، أكاد أجزم بأني رأيت هذه العبارة مكتوبة على غرفة العمليات يوم وُلدت!
«أهلا بك في المجتمع العربي»، أهلا بك حيث الكلمة محسوبة ليس خوفا من الله أو من رقيب أو عتيد، بل لأنك ستدفع ثمنها، وغرامات وضرائب اجتماعية.

لا تنتقد، لا تقاطع لا تدافع، من أنت أيها الطفل، صه، صه! تضع المدرسة يديها على فمها لتعلمنا كيف نحترم أنفسنا ونسكت «إشششش»، «أُصصصص». تعلمنا أن السبابة ليست للتوحيد وللشهادة فقط، بل لها استخدام آخر أجل وأنبل؛ وضعها على شفاهنا الصغيرة لنعبّر عن طاعتنا الانخراسية.

السكوت من ذهب، لكن كم من الماس والمرجان والياقوت والزبرجد فقدت يوم استمعت إلى أمثالكم البالية وصمتُّ؟!

أما حين نأتي لوضع الفتيات تحديدا، فحدّث

بكل حرج! هل تعرفون قصة «انططع حيط الططن»؟ القصة تحكي عن أم لديها ٣ بنات يعانين من مشاكل نطقية. وحين زارتهن الخطّابة، أوصتهن الأم أن يكتفين بالغزل ولا يتحدثن. لكن وفي حضرة الخاطبة انقطع الخيط.

فقالت الأولى: «انططع حيط الططن» (انقطع خيط القطن).

فردت الثانية: «اعددنّه واستتن» (اعقدنه واسكتن).

فقالت الثالثة: «ما دالت لكم أمي لا اتحتون؟» (ما قالت لكم أمي لا تتحكّون).

فردت الأختان: «تحتينا، تحتينا وترثنا البيت حتيات» (تحكينا، تحكينا وترسنا البيت حكيات).

فانصرفت الخطّابة دون رجعة!

أبعد كل هذا تتوقعون ألا تأكل القطة لساني؟ كيف تلومونها، فلساني ليس فيه عظمة، لساني لا ظهر له، هو قطعة لحمة مصفاة تُركت على القارعة لقمةً سائغة. هكذا يا قومي، أكلت القطة لساني، ولست ألومها.

أعرف أننا محاسبون على كل كلمة، وأن ما يكبنا على وجوهنا في النار إن هو إلا حصاد ألسنتنا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم. ولست في ذلك أجادل. لكن ما أظن هذا ينطبق علينا إلا حين نملك لجام الكلمة، فنحجم ونكظم الغيظ لله وحده.

الحق من أسماء الله الحسنى، فكيف لا نبحث عن الحق، وكيف لا ننطق له وبه؟

اليوم، أبحث عن بصيص تغيير يُبرعم الأمل في قلبي ويزوّد شراييني بنبض مديد، حتى أصحو في يوم، فأجد أنه قد نبت لي لسان من جديد. قبل أن يغيب خيط الأفق، قبل أن ينقطع خيط القطن، فتولي الحياة عني هاربة ولا تعقب!

* * * * *

اقطعي خيط القطن يا فتوح، إليك خيطا من فولاذ!

{الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}

فتوح، تفتح فمها، فتوح تنطق، فتوح تحيا.

خيال الوقت

طُبعت هذه القصة ضمن فعاليات حملة ركاز لتعزيز الأخلاق تحت شعار «فاز من حياته إنجاز» عام ٢٠٠٩.

يقال أنّ لكلٍ من اسمه نصيب، و كان لـ«خيال» من ذلك نصيب وافر.

كانت تتدرّع وتتذرع بقول عالم الفيزياء «آينشتاين» أن «الخيال أهم من المعرفة» لتبرر شرودها الدائم وأحلام اليقظة التي ترافقها كظلها. ولا ندري حقيقةً هل هذا نتيجة لمرحلة المراهقة التي تمر بها، أم أنه طيف اسمها يلاحقها ويرمي عليها بعباءته، أم هو سوء إدارتها لحياتها. لكن ما نعلمه يقينًا عن خيال هو أنها لا تعلم الكثير عن نظريات «آينشتاين» سوى تلك المقولة التي حفظتها عن ظهر قلب لتتخلص بها من إلحاحات والديها وشقيقها التوأم يُوسُف.

كانت ذات يوم في خلوتها تمارس هوايتها الفضلى؛ تضييع الوقت! لا تتصفح من الإنترنت إلا تفاهاتها، معلّقةً سمّاعتي جهاز الـ«آيپود» كما لو كانتا قرطين يشنّفان أذنيها



اللتين أتخمتهما بإزعاج نشازيّ لا ينتهي، وتشردُ بين الفينة والأخرى تتأمل زخارف السقف وتفكر في اللاشيء، أو ربما في شيء لا تريد البوح به!

طرق توأمها يُوسُف الباب واستأذن. أزالت أحد قرطيها، عفوا إحدى سماعتي الـ«آيبود» على مضض، وهي تعلم سلفا بالموشّح الذي ستسمعه منه. هي بدورها جهّزت المعزوفة المعتادة التي ترد بها على موّشحه. ومن يراهما هكذا يعجب من كونهما توأمين.

- ماذا تفعلين يا لولو؟

- توقف عن مناداتي بهذا الاسم.

- أيضيرك أن يناديك شقيقك باسم الدلع؟

- لا، لكني أعلم أن وراء موجة التدليع هذا خطبة عصماء، وقد حفظتُها عن ظهر قلب، فوفّر على نفسك التعب.

- أجل، كيف لا تعرفين وأنتِ توأمي وتقاسمتِ معي ظلماتٍ ثلاث لمدة تسعة أشهر.

- لا تنسَ يا يوسف أني خرجت قبلك، أي أني أكبر منك.

- أجل، أجل طبعا. وتعلمين أكثر مني بسنة ولا تحتاجين إلى نصائحي!

- أصلا ما كنت لأخرج قبلك وأضحي بالبحبوحة والراحة في بطن أمي لولا «حنّتك»* المستمرة ومواعظك.

- سامحك الله. على العموم، هل تحتاجين مساعدةً في الدراسة؟

- كما ترى فإني منهمكة في شحذ همتي قبل الدراسة، ولذا لا أحتاج إلى مساعدتك الآن.

- لولو، أنت تضيعين الوقت، لقد مر شهر على بداية الدراسة، ونحن في السنة النهائية.

- كلا، أنا أتسلى حتى تُفتح شهيتي للدراسة.

- بل تتهربين.

- أنا من مواليد برج الحوت، ومواليده مشهورون بالهروب من الواقع وبالركون إلى الخيال. و«آينشتاين» كان من مواليد هذا البرج بالمناسبة.

- آه، عدنا للخزعبلات! حسنٌ، أين أنتِ من إنجازات «آينشتاين» إذا؟ ثم هل نسيتِ أني أنا أيضا من مواليد البرج ذاته ولا تفصلني عنك سوى دقائق، فلم لا أسلك سلوكك؟

- لا أدري، اسأل نفسك. لقد أكثرت جدالي وضيّعت وقتي، هيا اخرج من غرفتي!

- ضيعتُ وقتك؟ من يسمعك يقل أنك كنت منشغلةً باختراع صاروخ يعمل على طاقة البقدونس!

- هل تعلم؟ مشكلتي أنه ليس لدي الوقت الكافي، ولو كان اليوم ٣٤ ساعة بدلا من ٢٤، لكنت الأولى على الصف!

- عُدنا إلى لأفكار الخيالية!

كان الباب مفتوحا فسمعت والدتهما الجمل الأخيرة من الحوار، فانضمت إليهما قائلة:

- ما رأيك يا خيال لو استعملتِ خيالك واخترعتِ لك ولنا طريقة تحول اليوم إلى ٣٤ ساعة فتكوني الأولى على الصف؟

- «إن شاء الله، بعد أن أتخرّج من الثانوية

هذا العام.» قالت خيال.

- «هذا إذا تخرجتِ أصلا!» قال يوسف.

- «أمي، هل سمعته؟!» صاحت خيال.

- «أمي، ما رأيك أن تخبري خيال عن هديتي إذا ما تفوّقت في الثانوية العامة. أخبريها أن تلك السيارة التي رأيناها في المعرض الصيف الفائت ستكون من نصيبي. أما هي فلتنفعها أحلام اليقظة!» أردف يوسف.

- «مهلا، مهلا! السيارة الرياضية إياها؟ وأنا ما ستكون هديتي؟» قالت خيال متألمة.

- «الأمر يعتمد على المجموع» قالت الأم.

- «ها ها ها. يسمونه التناسب الطردي، كلما زاد المجموع زادت قيمة الهدية. افتحي كتاب الرياضيات لتعرفي.» شاكسها يوسف. «ويبدو أنك لا تعلمين عن أمر الجامعة الخاصة المرموقة التي خططت للالتحاق بها إن شاء الله بعد التخرج!»

- «مهلا، كيف ناقشتما كل هذه الأمور مع يوسف ولم تناقشاها معي؟!» قالت خيال.

- «لم نرك مهتمة بأمور مستقبلك كثيرا» أجابت والدتها.

ثم انسحبا وتركاها.

تركاها تلملم شعث نفسها، تركاها تشهق كغريق نجا للتو من لجة بحر أجاج فأخذ يعبُ هواء الحياة العذب كما لو كانت المرة الأولى التي يتنفس فيها. تركاها وأغلقا الباب خلفهما، لكن ثمة باب، ثمة كوّة ولج منها النور ووصل إلى خيال كما لم يصل من قبل.

* * * * *

أمضت ليلتها تتقلب على جمر الغضى. لم يكن أمر الهدايا أو الجامعة هما ما يقلقانها بقدر ما آلمها إحساسها بأنها كمٌ مهمل، وأنها ليست إنسانة راشدة تستحق أن تُناقش معها أمور المستقبل. يُقال أن قلوب المراهقين حساسة، ويبدو أن ما حدث ضرب على وتر حساس، ومسّ عصبا مكشوفا، والتقى الكلام على أمر قد قُدر.

لم يغمض لها جفن ليلتها، وأخذت تفكر في وسيلة لتثأر لكرامتها. كيف يمكنهم أن يعاملوها هكذا كما لو كانت كيس قمامة غير ذي نفع! لكن ضميرها قرصها إذ تذكرت غفلتها عن الحياة.

تلك الليلة، تبدّت لها الحياة كساعة رملية تنساب حبيباتها بشكل خلاب أمام الساذج قصير النظر. أما ثاقب البصر والبصيرة، لن ينشغل بجمال الحبيبات الذهبية، بل سيرى الساعة الرملية كاملة، سيرى كم انقضى منها، وكم تبقّى.

بكت حتى تسربت الدموع المالحة إلى أذنيها المتخمتين لتغسلهما من درن سنين الشرود، بكت وبكت حتى غفت كالطفل الوديع.

استيقظت وقت صلاة الفجر لأول مرّة من تلقاء نفسها، استيقظت من غفوتها ومن غفلتها. توضأت بالماء وبالنور وبالعزم. ركعت ودعَت كما لم تدعُ من قبل، دعَت بصدق هذه المرة.

عقصت شعرها بعزم، ولفت حجابها بشكل مختلف هذا اليوم، لم يعد متراخيا متراجعا

مثلما كان دائما. إنه مشدود اليوم، مشدود كروحها العازمة.

لم تلتفت لاستغرابات أبيها من استيقاظها المبكر ومن تغير سَمْتِها، إذا كانت طوال الطريق شاردة، لكن شرودها هذه المرة لم يكن كأي شرود. كانت تدعو أن تصل إلى المدرسة مبكرا لتلقى معلّمة الفيزياء لتفاتحها بما يعتمل في روحها. واستجاب الله لدعائها.

لم تكن تخطط وحسب لتغيير مستواها الدراسي، بل كانت تريد أن يكون لها نشاط ما، شيء تحس أن لها قيمة بسببه، شيء يجعلها تشعر أنها حقا خليفة لله على هذه الأرض. واختارت أن تخبر «أبلة رواء» بالأمر، فهي لسبب ما تحب هذه المعلمة رغم أنها تخجل من مستواها المتواضع في مادتها، وتحب الفيزياء لأنها تلامس بشكل أو بآخر نزعة الخيال التي لديها.

اقترحت عليها معلمتها الكثير من الأمور، وطلبت منها أن تعود إليها في الغد لتعطيها دفترا يساعدها في تنظيم وقتها بعدما لمست أن خيال التي تكلمها إنسانة مختلفة، إنسانة قررت أن تتغير، قررت أن تنجز، إنسانة علمت أنه لا طائل من تمني أن يزيد اليوم بضع سويعات، بل إنسانة قررت أن تتعامل مع ساعاته كما هي. فالوقت ثابت، فكلٌ لديه ٢٤ ساعة، لكن تعاملنا معها نسبي، والفائز هو من يعرف كيف يتعامل مع الوقت بأصابع ماهرة.

طفقت خيال تدرس ما عليها أن تدرسه، وفي الوقت نفسه تراجع بعض ما مر معها في السنوات الماضية إذ أن الأمور العلمية تراكمية. لكن عزيمتها المشحوذة لم تقف عند هذا الحد، ولم تستمع لوسوسات نفسها بأن عليها أن تركز في دروسها فقط فهذه سنة مفصلية، بل التحقت بالنادي العلمي وتلقت دروسا إضافية في الفيزياء، وبعد فترة يسيرة بدا عليها -ويا للغرابة- تميز في مجال «فيزياء الوقت»! الفتاة التي كانت تحترف تضييع الوقت، صارت اليوم تدرس الوقت من منظور فيزيائي وتبرع في نظرياته!

لم يكن الأمر سهلا البتة، فالانسحاب من حياة التبلد واللهو والشرود أمر غير يسير. لكن كلما تراءت الساعة الرملية للحياة أمام خيال وهي تثعبُ وقتا، كلما اكتنزت روحها برغبة في التعويض عمّا فات، وكلما ثبّتت نفسها بالقول «الوقت ثابت، تعاملنا معه هو النسبي، وأنا قررت أن أكون من النخبة في تعاملي مع الساعة الرملية لحياتي».

تعلمت خيال كيف تضع خيالها في خدمة الوقت وفي خدمة الإنجاز، لا أن تضع الوقت وتضيّعه في خدمة خيالها الجامح. تعلّمت أن الخيال -إن وضع في موضعه الصحيح- قادر على تمديد الوقت واختصار المسافات! هذا هو «خيال الوقت»، أي الخيال في خدمة الوقت.

* * * * *

وفي يوم من أيام شهر يونيو الدافئ رنّ الهاتف بالبشرى. كلا، لا يزال الوقت مبكرا

على إعلان نتائج الثانوية. تلك المكالمة كانت من النادي العلمي، اتصلوا ليهنؤوا خيال ويدعوا أهلها لحضور حفل تكريم لحصولها على جائزة أحسن بحث علمي لهذا العام بين طلبة الثانوية في مجال الفيزياء!

وجاء بشير آخر بعد بضعة أيام؛ مكالمة أخرى تبشر يوسف بالتفوق الباهر، وتبشر خيال بنتيجة زاهرة ما كان لأحد أن يتوقعها.

التفتت إلى توأمها يوسف قائلة:

- أنت مدعو لأكلة هامور أو زبيدي -تخيّر ما شئت- احتفاءً بتخلصي من شبح الأبراج، واحتفالا بنجاحي الباهر، وببحثي الفائز، وطبعا بتفوقك.

- إذا «حنّتي» آتت أكلها؟ لكن ألا يمكننا أن نتناول «فيليه» الحوت نكاية ببرجنا الذي تخلصتِ من وهمه؟ كما أن الحوت يليق بالمقام الرفيع لسيارتي الجديدة!

- هاه، لا تفرح كثيرا، فأنا أيضا سأحصل على هدية تتناسب طرديا مع مقدار تطوري. وربما فاقت هديتي هديتك روعة!

- لا أكاد أصدق أن التي أمامي خيال!

- صدّق يا «يويو» صدّق، فأنا شقيقتك التوأم.

- يويو؟

- دلع «يوسف». أيضيرك أن تناديك شقيقتك باسم الدلع؟

- ظننتك تتكلمين عن لعبة «اليويو» بما أنكم تستخدمونها لإجراء البحوث الفيزيائية على الوقت!

وضحك الاثنان ملء رئتيهما. ضحكا ضحكة الفائزين، فقد فاز، من حياته إنجاز!

---

* حَنَّة (بفتح الحاء): كلمة بالعاميّة الكويتيّة تعني كثرة الإلحاح بشكل مزعج.



هجرة الأحبار

يسدد طرف القلم على الورق ميمنة فميسرة. يمهر توقيعه بالتاريخ، ويضع نقطة زيادة في التأكيد أو ربما لمآرب أخرى. هذا كان ديدنه اليومي. أما الآن، فأعظم خوفه ألا يجد طريقة يتمكن بها من توقيع قرار الإيعاز بصرف مكافآت فريق الخبراء الأجنبي الذي جاء ليحقق في الظاهرة الغريبة التي تحدث. فالعين بصيرة، واليد -أو بمعنى أدق الأحبار- قصيرة أو طائرة!

مَنْع سريان الأخبار كان أولويته فور حلول الكارثة. واضطر للاجتماع مع رئيس وموظفي كل قسم على حدة ليوجه لهم تعميما شفهيا شديد اللهجة بضرورة التكتم على الوضع القائم، فتسرب الأخبار بعفوية إلى الأهل والأحباب عبر الموظفين، يعني أنها حتما ستتسرب إلى الصحافة، ومنها إلى الأعداء الذين يقفون بشوكة وسكين تارة، وبمذراة وسيف تارة أخرى، متلمّظين ينتظرون حصتهم من الكعكة. فهم يعلمون يعلمون أنه نزل بمظله فوق كرسي وزارة الثروة



الإنسانية في يعربستان. ومثله يمكن الاستغناء عنه خاصة في أقرب مطب/مكب جوّي!

أم عدنان، وهي أقدم موظفة في الوزارة تصر أن ما يحدث هو سحر أسود، وصار تبخير أرجاء الوزارة مهمتها الصباحية، خاصة أنها -كغيرها من الموظفين- لم يعد لها أية مهام وظيفية تقوم بها، إلا إذا استثنينا شرب الشاي والقهوة من الأمر. حتى قراءة الصحف لم تعد ممكنة، فهي الأخرى طالها جزء من الظاهرة الغريبة. وصحيح أن حبر الصحف لا يتبخر بسرعة حبر القرارات والمراسلات، لكن ما أن تقرأ الصفحة الأولى، حتى تبدأ الصحيفة بالبهتان شيئا فشيئا، وترقد بين يديك صحافا من ورق فارغ يستجدي الكلمات! صارت الثرثرة، وتناول الطعام، والتمتع بألعاب الحاسوب مهام الموظفين الرسمية، في ظل تبخّر الأحبار.

جرَّبوا كل الحلول؛ أقلام الحبر سائل، أقلام الحبر الجاف، أقلام الحبر الهلامي «الجل»، أقلام الرصاص، حتى أن أحد الموظفين -جادا لا هازلا- أحضر قلم «الكوبيا» الأثري الذي ورثه من مقتنيات جدّه -لعل وعسى- لكن ظنه كان في تباب. وغني عن الذكر أن الوثائق المطبوعة من الحاسوب هي الأخرى لم تسلم مما يحدث.

أغلقت الوزارة أبوابها أمام الزوار بحجة «الجرد السنوي» رغم أنه تمّ قبل ثلاثة أشهر!

سورة البقرة تلف المكان بطمأنينة عجيبة عبر السماعات الحديثة المنتشرة في أسقف مبنى الوزارة..وحينها تفتق ذهب أحد الموظفين عن اقتراح أن يتم تحويل المراسلات إلى إلكترونية خاصة وأن ثمة توجه لدى الوزارة بذلك أحبطه التدخل المستمر في المناقصة المخصصة للأمر. لكن هذا المشروع سيستغرق وقتا طويلا، ولا بد من حل سريع للموضوع قبل أن يَفْشُوَ الخبر.

بعد أن نال الوزير من القلق كِفْلَهُ، جاء البشير بأن الفريق الأجنبي قد أنهى تحقيقه. وطبعا لم يكن ليتوقع تقريرا مكتوبا بالنتائج، فعَجِل إليهم ليعرف ما الخبر.

أخذ المهندس «ماتاساو»، يعرض على الوزير المُرَشِّحات التي نصبوها في الوزارة لقياس نسبة الحبر في الجو. وكان واضحا أن النسبة أعلى من المسموح بها عالميا. في الحقيقة، لم يرَ الخبراء شيئا كهذا من قبل، حتى أنهم أبدوا استعدادهم -بعد أن تشاوروا هاتفيا مع الشركة الأم- عن التنازل عن التكلفة المادية لاستشاراتهم، مقابل أن يأخذوا عينات الحبر معهم لتحليها شريطة ألا يعيدوها إلى يعربستان.

- م. ماتاساو: سيدي، لا أستطيع أن أقول لك سوى أننا إزاء هجرة جماعية للأحبار! وصحيح أن الأحبار في كل دول العالم تتفلت أحيانا من أوراق القرارات الرسمية، لكن المعدل

لديكم عجيب، ولا أجد له تفسيرا منطقيا. أحباركم تمرّدت يا سيدي، ولا أعرف لم! انظر إلى المرشِّح هذا كيف صار أسود اللون، هذا السواد هي أحباركم التي غادرت الورق، وصارت تسكن الأثير.

- الوزير: أريد حلولا، حلولا. لا أريد شرحا.

- م. ماتاساو: سنستدعي خبير التخاطب مع الأحبار من شركتنا، لكن أمامه ٤٨ ساعة تقريبا ليصل.

- الوزير: ولم لم تحضره معك من البداية؟! حسنٌ، الآن عليك أن تجد لي حلا إلى أن يصل خبيركم، لا تقف كالأبله هكذا. علينا تصريف الأمور، قبل أن يسرِّب أحد الموظفين الخبر إلى الصحافة.

- م. ماتاساو: أراهم مستمتعين بوقتهم، لا أظن أن أحدا منهم سينبس ببنت شفه.

- الوزير: دعني من ظنونك، مواطنو يعربستان ثرثارون. ثم إنّ هناك تقارير يجب أن تنجز، ومراسلات يجب أن تتم، والأمور متوقفة من أكثر من خمسة أيام. إذا لم يتكلم الموظفون، سيشك من هم خارج الوزارة.

- م. ماتاساو: لم لا تنجز الأعمال الضرورية من البيت أو من أي مكان آخر؟

- الوزير: وهل تظن أن ذلك لم يخطر ببالي؟ طلبت من سكرتيري إنجاز المراسلات في بيته وإحضار البريد لي مساء لتوقيعه، لكن المراسلات وصلتني بيضاء من غير سوء! جربت عبثا التوقيع على البياض، فتبخر توقيعي أيضا بعد ثوان.

- م. ماتاساو: ماذا؟! لماذا لم تخبرونا بهذا من قبل، لقد ظننا أن الأمر محصور بأروقة الوزارة.

- الوزير: في الحقيقة تعلم أننا لا نعتمد على التقنية في وزارتنا، ولقد طلبت من ابنتي أن ترسل لكم البريد الإلكتروني الذي وصلكم، ولعلها غفلت عن ذكر جميع التفاصيل التي أخبرتُها بها. أما الطلب الرسمي، فقد جاءكم كما تعلم عبر مكتب صديقي وزير المحاربين القدامى، وكان مقتضبا ومموها كي لا يعلم أحد بحقيقة الأمر.

- م. ماتاساو: يا سيدي، لو كنت أعلم أن الأمر ليس محصورا في المبنى، بل أمتد لشخصوكم، لما كان فريقنا تجشم العناء وحضر. فنحن إزاء حالة عصيان شرسة من جموع الأحبار، وعقدنا معكم لا يغطي هذا الجانب، ببساطة لأنه لا يمكن التخاطب أو التفاوض مع أحبار قررت العصيان.

- الوزير: سحقا يا صاحب العينين الضيقتين! ماذا أفعل الآن؟



- م. ماتاساو: لا حل سوى أن تيمم أملك شطر التراسل الإلكتروني، لكن حذار، فحالة الحنق والعصيان التي تصيب الحروف الإلكترونية التي ستتمرد بدورها عليكم. أرجو ألا تتخذوا قرارات لا تنفذونها، وإلا ستقعون في المشكلة نفسها مجددا.
سأرسل لك تقرير مفصلا بنتائج تحقيقنا إلى بريد ابنتك الإلكتروني. والآن، أرجو أن توقع لي بأننا أتممنا طرفنا من العقد.

- الوزير: بكل سرور يا عزيزي، لكن ناولني قلما لا يتبخر حبره بين يدي!

وظلت الأحبار تهاجر هجرة جماعية عن وزارة الثروة الإنسانية في أرض يعربستان. تنتشر، ثم تندثر لتعانق الهواء الفسيح. وكيف لا، وهو خير لها من وصمة العار الشهيرة: «حبر على ورق»!



هنالك

إني أنبت، أنبت، أنبت!

إنه يوم الجمعة، وإسرافيل يلتقم قرنه مجددا. نفخة واحدة، إنها الرادفة، ويا للهول. إني أنبت مثل تلك البذور الصغيرة التي وضعناها في القطن في حصة العلوم، فبرزت منها سيقان هزيلة، ما لبثت أن استغلظت واستوت. إني أنبت، من عُجب الذنب، من عظمة العصعص المنمنمة التي ادعى بعض المساكين أنها من مخلفات الإنسان الأول الذي كان له ذيل! إني أنبت من جديد، دون حبل سري أتمسك به، ودون مشيمة تعصمني من الأنواء، أنا أنبت كما نبتت أول مرة، لكن بالحركة السريعة، وبالمؤثرات الصوتية التصويرية الكاملة، أنا أنبت وأنخلق من جديد أمام عين نفسي، نفسي تشهد على نفسي، روحي تراني، وترى جسدي يتخلّق، وتلتحم معه مجددا، تصافحه مصافحة ثانية، ولتصفع أولئك المنكرين.

وها أنا أدب على رجلي. أرى الكون وقد تبدّل، إنه كون ذُبح فيه الموت، إنه كون سمع الرب عزّ وجلّ يقول «أنا الملك! أين ملوك الأرض؟» فما أجاب أحد.



بالساهرة

ها أنا بالساهرة، وها هم النابتون مثلي. كل منشغل بنفسه، لا أحد يكلف نفسه البحث عن أحد أو الاطمئنان عليه. لا، ليست أنانية بل هول عظيم كفيل بإفقادك ذاكرتك العاطفية، فلا تعبأ إلا بمصيرك، ولا تود أن تؤمن إلا مستقبلك الخلودي.

كلٌ منا بُعث على ما مات عليه. والمقام اليوم ليس مقام خجل من الآخر بقدر ما هو مقام فزع من اليقين بأن ثمة حساب محكم مبرم ناجز يحوم في الأفق، وأول علامات الحساب هذا أن المرء يبعث على ما مات عليه، وهذا يستوجب ويستجلب أن ثمة كتاب {لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها}، وهذا شعور مفزع للمسيء وللمحسن منّا على حد سواء، فمن يخلو كتابه من المصائب والمعائب؟

خمسون ألف سنة، خمسون ألفية بمقاييسكم الدنيوية. كثير؟ أعلم. لكن ما هي مقارنة بالخلود؟ باللاتناهي، باللافناء؟ لا شيء البتة. وبمقاييسكم الدنيوية فإن قسمة أي عدد على الصفر غير جائزة، وكذلك قسمة العدد على اللانهاية، جائزة وغير جائزة.

ها هي الشمس تأتي، ترفل بكامل قُطرها الوسيع وتدنو مقدار ميل فوق رؤوسنا. هل تتحرقون شوقا لتعرفوا أي ميل هو؛ ميل المكحلة أم الميل القياسي؟ وما أهمية ذلك وهي اقتربت منا بكاملها دون كسف تبث الوَجْف، واعتمدت فوق رؤوسنا وفوق أجسادنا الجرداء؟ بالمناسبة، أين أنتم يا رعاة العري ودعاته؟ أليس الفرصة مؤاتية الآن؟ أين كاميراتكم الميمونة؟ صوروا، صوروا، فالفرصة لا تعوض. حقا، أين هم؟ ها هم كغيرهم ذاهلون كل يفكر في مصيبته.

الغرق في العرق!

إذا كنتم تظنون أن الغرق في العرق الذي تحدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم مجرد أمر مجازي، فواهمون أنتم. امممم، كيف أشرح لكم ما يحدث الآن؟ حسن، تخيلوا أن شخصا واقفا وحوله «سحابة» من العرق تصل إلى ما شاء الله أن تصل إليه؛ «فمنهم من يكون إلى كعبيه ... ومنهم من يلجمه العرق إلجاما» وهذا السحابة تحيط بالشخص إحاطة الهالة بالجسد، وترافقه السحابة العرقية أينما ذهب. وحتى أقرب الأمر أكثر لعقولكم الأرضية البسيطة، تخيلوا أن الإنسان يقبع في «كوب» افتراضي شفيف يمتلأ بالعرق، كل على شاكلته، كل وفق عمله.

لكن هناك فئة ذات حظوة! سبع غمامات، لسبع فئات مخصوصة، فئات هامة جدا تحمل جوازات سفر دبلوماسية أخروية فلا تقف في طابور، ولا يطالها تفتيش. ها هم السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله. لا تقولوا يا بختهم، بل قولوا ما أكبر عزيمتهم، وما أجل عملهم، وما أروع وأصدق خالقهم الذي وعد وأوفى، {ومن أصدق من الله قيلا}؟

الأنظار والانتظار

قد يكون معظم الموجودين عاشوا ٥٠ سنة أو

أكثر بعقد أو عقدين، ٥٠ سنة ثقيلة وطويلة. فكيف تكون تجربة الوقوف متعرقين لخمسين ألف سنة؟ أغمضوا أعينكم وتخّيلوا. لا أقول هذا لأفزعكم، فهل نسيتم عبارة آينشتاين الشهيرة بأن الأمور نسبية؟ فالخمسين ألف هذه شأنها شأن الإقامة في القبر، تمر على الكافر بثقل، وتمر على المؤمن كصلاة مكتوبة. بلغت القلوب الحناجر، وها نحن نبدأ بالاستجارة من الرمضاء، ولو أودت هذه الاستجارة ببعضنا إلى النار، حرفيا هذه المرة! فكما يقال، توقع المصيبة مصيبة أكبر. وهنا بدأنا بالبحث عن طريقة لنتسلم كشوف أعمالنا مهما كانت مخيفة أومخيّبة.

«نفسي، نفسي» يكررها على مسامعنا نبي الله آدم ونوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام أجمعين. ولا يأتي الخلاص إلى على يد سيد ولد آدم، الذي يستبدل بـ«نفسي نفسي»، قوله «أمتي أمتي» ساجدا حامدا تحت العرش.

الصحف الطائرة

حان وقت الحساب، وها هي الصحف تتطاير. وهو سجلك الإنجازي/الإجرامي يلاحقك، ويدس نفسه في يديك، إما اليمين وإما الشمال، ولا تظنن أن لك الخيار. اقطع يدك إذا شئت، تبرأ منها، ستجدها تلحقك وتعود مكانها لتستلم صحيفتك. لا تكابر، لا تجادل، لا تراوغ، فأنت في دار الحق.

فجأة تجد صحف جميع الخلائق وقد تطايرت في الهواء، وقد علمت كل صحيفة مشربها ومسربها، وها هي لا تضل طريقها تأتيك لتعطيك خُلاصة ملخّص التلخيص:

يمين = جنة.

شمال = نار.

«ووضع الميزان»

تحسبا لنزعة بعض البشر في الجدال والمراوغة ومحاولة التحذلق في جميع الأحوال بما في ذلك يوم القيامة، لا بد من محاسبة تتسق مع أرقى معايير الشفافية والمحاسبة الصارمة، وعلى أعلى مستويات التدقيق والمراجعة.

صحيفتك أخبرتك بمأواك، لكن من حقك أن تعرف لم حصلت على هذا المصير -في حال أنك ادعيت أنك لا تعرف! من حقك أن تعرف، ولو كان الذي يقول لك ذلك هو رب الملكوت. من حقك أن تعرف، من حقك.

فسبحان الحق العدل، سبحانه.

وسبحان اللطيف. حساب الكافر على رؤوس الأشهاد، فمن أنكر وجود الله لا يؤمن بوائقه، ولا يؤمن أن يدعي أن في الحساب تدليس، فلا بد من إشهاد الملائكة والخلائق عليه من باب الاحتراز، ومن باب التكبيل. أما المؤمنون، فقد حاضرنا ربنا محاضرة، وعاتبنا، ولم يهتك سرنا، فهنيئنا لنا، هنيئا.

لكن مرة أخرى، ها هي هناك فئة هامة جدا أخرى، فئة لم تحاسب أصلا، وسيقت في موكب إلى مكان بعيد حتى لم نعد نراها. سبعون ألفا، دخلوا الجنة بلا حساب، سبعون ألفا كانوا يتوكلون توكلا باللسان، وآخر بالقلب، وثالثا بالجوارح، فحق لهم أن ينضموا



إلى موكب الخصوص.

لقد جيء بميزان له كفتان. أعلم أن بعض البشر الذين يهوون المراء يضحك في باطنه ضحكة استهزائية يتلجلج فيها حرف الخاء؛ فما الحاجة إلى ميزان ذي كفتين، لماذا لا يكون ميزانا رقميا مثلا؟

هل نسيتم الكفتين الذين على كتفي كل منكم؟ رقيب وعتيد؟ هل نسيتم أن لكم سجلين، سجل الحسنى وسجل السوء؟ وهل نسيتم نزعة البشر في التنميط وفي وضع الأمور في فسطاطات؟ هذا فسطاط أعمال الخير على اليمين، وهذا فسطاط أعمال الشر على الشمال. فبأي يد استلمت كتابك؟ تعال إذا وشاهد الكفة المقابلة لها ترجح، وشاهد الكفة الأخرى تترنح في الهواء. تعال وشاهد بعينيك، واجعل نفسك تشهد على نفسك.

ملائكة السجلات

أنتظر الملائكة تحضر ومعها السجل الكبير ليوضع محتواه في الميزان، و أمني النفس أن تسقط ورقة هنا، وأن تصفر ورقة هناك، وأن يكون الخطا ردئيا في صفحة. تخرصات إنسانة خائفة، فعند الله لا يضيع مقدار حبة من خردل، فكيف سمحت لنفسي أن أظن هذه الظنون. لا أعرف، لكن هكذا فكرت للوهلات الأولى.

عجبي كبير، كبير جدا! محتوى السجلات يعرض أمامي حياتي بالصوت والصورة والحدث كاملة الأبعاد! لا ثلاثية ولا رباعية الأبعاد بل كاملة الأبعاد. إني أرى ما اجترحت مرة أخرى، صوتا وصورة وأبعادا كاملة مجسمة كأنها تحدث أمامي فعلا، بل أني في الحدث نفسه، إني محبوسة داخل نفسي، أنا داخل المشهد (دون أن أستطيع التغيير فيه). أنا داخل جسدي، أراني وأرى يدي تمتد لتأخذ سماعة الهاتف، وأحس بأحبالي الصوتية تهتز، وبلساني يتحرك وينطق ويغتاب. أنا داخل نفسي الآن، أشهد عليها، وأقرأ كتابي قراءة لم تخطر على قلب بشر.

{اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}

ها هي أحداث عمري توضع واحدا تلو الآخر في الكفة الملائمة، ولسان حال الملائكة الشهود يقول: «هل تجرُئين على الإنكار؟».

هناك أعاجيب تراها، كلها تؤكد أمرين: «إنما الأعمال بالنيات» و«لا تحقرن من المعروف شيئا». آه لو ترون كفات الموازين تطيش حين توضع «لا إله إلا الله» في الكفة اليمنى، شاهدناها في الدنيا بعلم اليقين وربما بعين اليقين، وها نحن نشاهدها حقَ اليقين. تعرفنا على الوزن النسبي المرتفع لـ«سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». فجأة تذكرت مدرِّسة الفيزياء حين أخبرتنا عن الكثافة، وأن الحجم ليس كل شيء، بل قد يكون الشيء صغير الحجم وكثيفا ثقيلا. وها هما العبارتان الخفيفتان نطقا، تكشفان عن كثافتهما الميزانية، وهما هما تتجهان -بعد أن أدتا دورهما في تثقيل الموازين- إلى الجنة لتنغرس كل واحدة منهما نخلة شماء لتستقبل صاحبها

وتنحني له فور دخوله، {ويدخلهم الجنة عرّفها لهم}.

آه، كم خيبتي كبيرة. أصابعي تثرثر وتشهد علي، و لساني ينطق ويشهد على نفسه، وكأنه هو الآخر نبت له لسان شهيد عليه. « بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل». وأرجو أن تعفوني من التفصيل في أعضائي التي شهدت علي، وبم شهدت. فقد سترها الله علي، ولا يحوز أن أفضح نفسي.

حول الحوض

طوال إقامتي على الأرض وحلم نتائج الثانوية العامة يراودني بين الفينة والأخرى رغم أني أنهيتها منذ زمن طويل. ربما لأنها المفصل الذي يمكن للمرء من خلاله أن يتنبأ ببقية مستقبله المهني. وكذلك هو التزاحم على الحوض، شيء أشبه بانتظار نتيجة الثانوية العامة. للبعض تجربة لذيذة، وللبعض الآخر مرارة يتجرعها أثناء الانتظار وبعده.

هناك أراه، وأخيرا! كم قرأت عن شكله، وكم تخيلت. لم أعرف المعنى الحقيقة لدعجة العينين إلا الآن. حينما رأيته من بعيد، شعرت بشيء من الاهتياب، وها أنا أقترب زلفى ولا أشعر إلا بالتحنان. وصدق القائل «من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه».

أعارك الصور التي دُمغ بها دماغي. حينما كنت صغيرة كنت أظن النبي صلى الله عليه وسلم يشبه الشيخ الشعراوي! وحينما كبرت بضع سنين، تسللت إلى مخي صورة الرجل النحيل المجعد البشرة ذي اللحية البيضاء الطويلة، وذي العصا المتعرجة، وحينما كبرت أكثر بدأت تصلني الصورة الحقيقية. لكنها كانت مجرد كلمات، ومجرد وصوف انطباعية أحاول أن أضع أجزاءها معا لتكتمل مربعات الأحجية. واليوم أراه عيانا، ولا أستطع كتمان غبطتي لأولئك الذين كان يمكن لهم أن يجمعوا عرقه الشريف. ولا أستطع أن أخفي شكري لله أني لم أولد في عصره ولم أره! فماذا لو كنت رايته ولو أؤمن به؟ ماذا لو رأيت بدر التمام، وقررت أن أشيح بوجهي وأن أُعليَ هبُل أو تراث الآباء.

لطالما كنت سَكُوتة، لكن في هذا الموقف سأتجرأ، و سأفعل مثل الغلام حين قال « لا أوثر بنصيبي منك أحدا»! سأطلب شربة ثانية من يده الشريفة، صحيح أن الشربة الأولى لا ظمأ بعدها، ولكني قاسيت كثيرا في حياتي لأحب شخصا لم أره، وأقتدي بشخص على سبيل السماع والنقل. إني أرجوه -صلوات ربي وسلامه عليه- أن يخصني بشربة ثانية جبرا لغضاضة الحياة علي، وكيف لا، وقد قضيت فيها ما قضيت ولم أحظ برؤية وجهه الشريف. لا أدري إن كان أحد الآخرين سمعني وقرر أن يطلب مثلي، لكن حقوق الملكية لهذه الفكرة محفوظة لي، يرجى عدم التعدي! سبقكم بها «عكاشة»، {والسابقون السابقون}! اعذروني، فأنا حتى الآن لم أتخلص من جميع صفاتي الأرضية، ولا يزال في قلبي شيء من الأنانية.

الصراط المستقيم

هذا ما طلبناه خمس مرات في اليوم؛ الصراط المستقيم. الآن حان الوقت لنعرف هل كان طلبنا جادا بما فيه الكفاية فنكون ممن أُجيبوا، أم ممن خُيّبوا.

هذا الطريق الذي قال عنه الحبيب -صلوات ربي وسلامه عليه- «أدق من الشعرة وأحدّ من السيف»، وهذا تعبير مجازي لتقريبه إلى عقولكم البشرية، وهو فعلا دقيق بشكل لا يمكنني شرحه لكم بلغتكم الأرضية القاصرة.

ما اريد أوصله لكم هو أن التوازن عليه في الآخرة، هو انعكاس لمقدرتنا على التوازن عليه في الدنيا. الصراط هو مرآة لأعملانا، ومروقنا من عليه تحصيل لصدق دعائنا، ولصدق استقامتنا على ما يحقق هذا الدعاء من تطويع لجوارحنا. ولأن الجزاء من جنس العمل، فإن الصراط يطوّع نفسه للمار عليه في الآخرة، بقدر ما طوع هذا الإنسان نفسه لتنقاد على الصراط المستقيم في الدنيا.

هناك من يعبر قبل أن يرتد إليه طرفه، وهناك من يحبو كالطفل الصغير. أما الخطاطيف والكلاليب فهي أشياء تشبه تلك التي في دنياكم نوعا ما، لكن للأسف لا أجد في معاجمكم المفردات الملائمة للتعبير عن فظاعتها، لذا أفضل ألا أتطرق للأمر أصلا من باب إيثار الأمانة والسلامة!

تسحب الخطاطيف أصحابها المعرَّفين لها، تضمهم إلى أمهم الهاوية، حيث السَّموم واليحموم. أما المؤمنون فلكلٍ نور، بقدر جبل أو بقدر طرف إبهام الرِجل، كل يعبر على شاكلة عمله.

التقاصص

نحن الآن في طريقنا إلى المرحلة ما قبل الأخيرة، إلى الجدار العازل، إلى المنطقة نازعة الغل، إلى القنطرة. هنا نتقاصص من بعضنا، ونكون جاهزين لنكون {إخوانا على سرر متقابلين}.

ألوان أكثر من السبعة!

«ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

حين وهبنا الله مشيئة في الدنيا وهدانا النجدين، أعلمنا أن الجزاء من جنس العمل، و{هل جزاء الإحسان إلا الإحسان}؟ وما جزاؤنا في الآخرة إلا المشيئة أيضا. فمن طوع إرادته ومشيئته في الدنيا، فـ«كان هواه تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فإن جزاءه مشيئة أيضا، لكنها مشيئة من نوع خاص، مشيئة خارقة تحقق كل شيء وأي شيء؛ {لهم فيها ما اشتهت أنفسهم ولهم فيها ما يدّعون}. فسل تجب، واطلب تعطَ. ولا أعرف لماذا يصر البعض على طرح أسئلة عبثية من نوعية «لماذا ليس للمرأة حور عين في الجنة؟» يا سيداتي ويا سادتي، ادخلوا الجنة وحينها اطلبوا ما تشاؤون، فما ضرب في القرآن



ضرب من باب المثال لا الحصر، فهل يعني لكم اليوم الرمان والعنب شيئا وهو يشحن شحنا من أقاصي العالم على مدار العام؟ قطعا لا، ولكنه كان يعني الكثير لعرب الجاهلية. وهل يفرح سكان المناطق المتجمدة بالظل الوارف؟ أظنهم يتمنون الجنة كلها شواطئ مشمسة ليل نهار. يا جماعة، ادخلوا الجنة، وبعد ذلك أرهقوا أنفسكم -إذا شئتم- في التجادل عن صنوف النعيم التي فيها. الجنة مكان ماتت فيه الـ«لا».

وبعد أن تلذذت بكبد الحوت، وبعد أن رأيت عنق الموت مجزوزا وعلمت أنه خلود فلا موت، يطيب لي أن أخبركم عن بعض ما أرى، لن أضيع وقتي في إخباركم بأمور لا يمكن لعقولكم الأرضية أن تعيها. لكن هل يكفيكم أن تعلموا أن في الجنة ألوانا لم نرها في الدنيا؟ لا أعرف كيف أصفها لكم، فهي ليست مزيجا مفتعلا من الألوان السبعة إياها، بل ألوان جديدة وأصيلة، ألوان لن أكلف نفسي إحصاءها لأنني أعلم أن الرقم الذي أصل إليه لم تتوصلوا إليه بعد، ولن تتوصلوا إليه. لكن تخيلوا معي، حاولوا أن تعتصروا أخيلتكم لتتصور أن هناك ألوانا جديدة. مساكين! كنا نفرح بال ٢٥٦ لونا في شاشات الكومبيوتر، ونظنها فتحا من الفتوحات، أو بالألوان المتدرجة في اللوحات الزيتية، أو بالطبقة الشفافة اللامعة التي توضع فوق المطبوعات، أوبالتذهيبات التي تضاف فوق قطع الأثاث، ولا نعلم أن هذا لا يكون عشر معشار الألوان الموجودة في الآخرة. ورغم أنه لا تعب في الآخرة ولا نصب، لكني فعلا أحس بالتعب من محاولتي إيجاد كلمات تعبر لكم عما أرى الآن!

أغمضوا أعينكم وتخيلوا، وأنا أكيدة أن البصر سينقلب خاسئا، وفارغا. فهذا مما لم يخطر على قلب بشر.

هنالك ماتت الـ«لا»، هنالك حرم حصين لا يدخله إلا لمن يتقن قول «لا» هنا.

ومن هنا إلى هنالك طريق قصيرة، لا أعرف لم يستطولها البعض.



إغماضة

يصيح العربي:

قشَّةً، قشَّةْ. إنِّي غريقْ!

يأتيه الرد:

سؤالُ غيرِ اللهِ مذلةٌ، ولو كان «من أين
الطريقْ؟»!

للأمانة، المقطع «سؤال غير الله مذلة ...» سمعته ولا أتذكر ممن. فالفكرة منقولة.





حياة الياقوت

كاتبة كويتية ولدت في ٢٥ فبراير ١٩٨١.
حاصلة على الإجازة الجامعية في العلوم السياسية، وعلى الماجستير في علوم المكتبات والمعلومات بتفوق من جامعة الكويت.

رئيسة تحرير دار ناشري للنشر الإلكتروني Nashiri.Net أول دار نشر ومكتبة إلكترونية مجانية غير ربحية في العالم العربي.

صدر لها:
«من ذا الذي قدّد البيان؟ أخطاء وخطايا لغوية مصوّرة»، ٢٠٠٦
بالإضافة إلى مقالات وقصص متعددة نُشرت ورقيا وإلكترونيا.

البريد الإلكتروني: hayat@nashiri.net
الموقع الشخصي: www.hayatt.net

www.Nashiri.Net